أعلام قرآنية

لقمان الحكيم عليه السلام وحكمه

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾

تأليف

محمد خير رمضان يوسف

دار المصحف

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

للعناية بطبعه ونشر علومه

دمشق - ص.ب: ١١٧٢١ - هاتف: ١١٢٧٧٢

لقمان الحکیم وحکمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين

إهداء

قِصَّــة .. وَهَدِيَّــة

كنت في السابعة عشرة من عمري آنذاك..

.. وكانت فترة زمنية مليئة بالسهر والمطالعة.. ومقارعة الأصدقاء بالجدل والنقاش..

تلك السهرات البريئة.. التي كانت تمتد إلى ما بعد منتصف الليل.. حيث نتداول فيها أحاديث شتى.. عن الأساتذة والأصدقاء.. من حب وإعجاب.. أو سخرية وتهكم..

وكان البارز فينا هو الذي يطيل الحديث.. ويأتي بالأخبار الغريبة من هنا وهناك.. ويسرد مغامراته وأحاديثه وتجاربه الشخصية مع فلان وفلان..

ومن وراء جدار شفاف، كان هناك صديق وقور، هو أكبرنا سناً ـ قليل الكلام ـ. يلحظ هذه الأحاديث وما نتداول فيها من آراء وطرف ونبذ من التاريخ.. تدل على شخصية كل محدث.. يلحظ كل هذا.. ليضع بعدها يده علي.. ويربت على كتفي بحنان المجرب الحكيم، الذي أحب أن يأخذ بيدي في دروب أخرى غير ما أنا عليه.

. . وأخذ يتردد علي وأتردد عليه. . وهو يرمي من وراء كل هذا أن يخفف من صلتي بهؤلاء الأصدقاء. . لأتفرغ إلى أشياء أخرى. تهمني وتهم مجتمعي أكثر. . وكنت أشعر بصعوبة الموقف تماماً. . إذ أن حياتي بدون أصدقاء. . كانت كحياة سمكة بلا ماء. .

. . ولكنه كان مجرباً وحكيماً. . فقد لاحظ مواهبي المتعددة. وأخذ يرغبني فيها. . ولكنه من بينها كان يركز على المطالعة. . .

وأخذ يحضر لي الكتب. . وأكثرها ديني وأدبي. . رغم أنه كان هناك انحطاط ثقافي في جو البلدة. . إذ انه لم نكن نسمع أن هناك (رجلاً عالماً) يقرأ الكتب. . أو لديه مكتبة عندنا. . أما مكتبة المدرسة. . فكانت (فوضى). . ولم يكن هناك أي تنظيم واعتناء بالطلاب. . فترى الطالب في المرحلة الإعدادية الأولى ينظر إلى جدول الكتب. . ويذهب ليطلب كتاباً اختاره. فإذا به يخرج مجلداً ضخماً ينوء بحمله. . ويرجعه كما هو. . لم يقلب غلافه. . وآخر يحب قصة صغيرة تلائم سنه وقدرته على قراءته وفهمه. . فينظر في جدول الكتب القصصية. . وإذا به يستلم كتاباً من أحدث غراميات(نجيب محفوظ) أو (محمد عبد الحليم عبد الله) أو غيرهما. . . فيصطدم ببراءته مع تلك الصور المتدنية. . وعبارات تتعالى عنها الضمائر الشريفة. أما صديقنا (عبد الرحمن محيي الدين) فكان يعلم أن هذه الكتب لم تكن لتصنع الأجيال الخيرة. . التي تريد إصلاح المجتمع المنهار. . فكان يذهب إلى بعض القرى. . ويرى بعض (الأئمة

المسلمين) فيتداول معهم الأحاديث، ويسمع بأن عندهم كتباً إسلامية.. تعرف الشاب المسلم بدينه وعقيدته.. فما كان منه إلا أن يجلب بعضها ويضعها بين يدي.. ويقلب صفحاتها معي.. ليأخذ بيدي في دروب كتب غريبة عني.. هي ثقافتنا الأصيلة التي يجب أن نعيها تماماً..

وشيئاً فشيئاً أخذت أمخر عباب بعض المجلدات الضخمة.. وكنت نهماً جائعاً.. فربما مرت ساعات وأنا في نشوة المطالعة.. تنسيني لعب الشباب ولهوه.. وكنت في أيام الأسبوع الواحد، أنتهي من مجلد يبلغ الستمائة صفحة.. مع الدوام المدرسي..

وكان ذلك الأخ الجليل يشجعني بين كل فترة وأخرى على الكتابة! فكنت أضحك وأقول: وهل التأليف سهل إلى هذه الدرجة؟!

ولكنه بدأ يكلفني بكتابة القصة.. أو أبيات من الشعر عن (مناسبة) ما.. ويوضح لي ـ كالناقد الفاحص ـ كيفية الكتابة وأصولها.. وعناصر الموضوع..

ما كان مني إلا أن أتناول وأكتب..

وكان يبدي إعجابه بكل ما أكتب.. بل ربما أبقى عنده الموضوع أياماً ليناقشني بعدها في بعض الأفكار التي وردت فيه..

وكان يشجعني على نظم الشعر.. وفي أشهر قليلة، تشكل لدي ديوان صغير.. فيه أكثر من مائة بيت!

وكانت تلك أيضاً مرحلة عاطفية مؤقتة..

فقد بدأ صاحبي ينقي الشوائب.. ويقوّم الاعوجاج.. ويسلك بي سبيل الرجال.. بل ويؤنبني أحياناً إذا أخطأت الجادة..

وعندما يأتي الصيف.. كان يكلفني بين كل فترة زمنية أن أكتب عن موضوع ما.. ويأتي ليطلع عليه.. رغم أنه كان مشغولاً دائماً..

وقال لي مرة: إن هناك عملاً سهلاً.. ولكنه يحتاج إلى جهد بسيط لا بأس به من المطالعة..

ـ وما هو يا أخي عبد الرحمن؟

ـ أن نجمع حكم لقمان.. إن حكمه جليلة القدر، عظيمة المعنى.. وما قرأت حكمة له إلا وازددت إيماناً ويقيناً.. وراجعت معلوماتي السابقة.. واستفدت منها.. وأضفتها إلى تجاربي ومعارفي..

وكان عدد الكتب التي نمتلكها جميعاً ما يقرب من عشرين كتاباً!!

وبدأنا نكتب في دفتر صغير شيئاً عن حياة لقمان.. وبعدها جوامع من كلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.. وانتقلنا بعدها إلى حكم عامة.. ومنها إلى حكم لقمان.. التي لم تتجاوز عشر حكم.

ومرت أيام ومحن عصيبة على صديقي العزيز. ذاق خلالها غصص الحياة ومرارتها..

وأُغلق ذلك الكتيب الصغير خلال أعوام وصلت إلى يوم هذه الكتابة.. أي: بعد مرور ما يقرب من عشر سنوات..

ويأتي هذا الكتاب بعد (الخضر عليه السلام) - كتابي الأول - حيث ذكرت في مقدمة ذلك الكتاب أن هناك شخصيات مشهورة مجهولة.. كالخضر ولقمان وذي القرنين.. وددت أن تجمع كل شخصية في كتاب.. حتى لا يتشتت فكر الباحث أو القارىء...

ويشاء الله عز وجل أن أكتب هذا الكتاب..

.. وكان أول ما لفت نظري - عندما تناولت القلم - هو ذلك الكتيب الصغير (المخطوط) من ذكرياتي الجميلة.. مع أستاذي الأول في المطالعة والكتابة: عبد الرحمن (الحكيم)..

فإليه أهدي هذا الكتاب.. هدية متواضعة..

.. تلك هي القصة.

... وهذه هي الهدية.

محمد خير يوسف

- سورية - القامشلي ١٤٠٢ هـ.

الفصل الأول

الحكمة

سحابة مـاء هطالـة تسقي أرضاً عطشى فتجود بـالزهـر والثمر . .

. . وخط لامـع من برق الشتـاء يضيء الليـل المـظلم المدلهم . .

. . وصوت ندي يمر على قلوب العباد فيغرس فيها أصول الحب والمعرفة والخير . .

. . . وسيف شاهر على الطاغوت يجهر بالحق والعدل لا يلين له جانب . .

. . وحق يبقى مرفوعاً ـ وإن طمسه الحاقدون وذوو النيات السيئة ـ يدوي عـلى رؤوس الأشهاد وينـادي أصحابـه ويهدد أعداءه . .

. . عرفت الحكمة منذ الفجر الأول من التاريخ . نادى بها أصحـابهـا ، وتلقفتهـا الآذان ، ورددتهـا الألسن ، وسجلتهـا القلوب ، ووصى بهـا الآباء أبناءهم ، والعلماء تـلاميـذهم ، والمحبون محبيهم . .

الحكمة : إنها ذلك الغذاء الروحي الذي يبحث عنه الناس

لقلوبهم ونفوسهم المريضة كما يبحث الجائع عن الطعام، والظامىء عن الماء..

الحكمة: دواء ما أصاب داءالا شفاه بإذن الله.. فيعيش المرء بعدها نظيف النفس، هادىء الروح، ساكن القلب، سليم الظن، مطمئن البال..

الحكمة: نور يشعُّ بين ثنايا العلوم، فيهدي السبيل للضال، ويقوّم السلوك للمنحرف، ويبعث في النفس الضمير الحي..

الحكمة: رسالة إنسانية نطقت من أفواه حكماء عارفين.. غسلت نفوسهم من أمراض القلوب، وحنكتهم التجارب الطويلة المريرة.. وجنوا كلمات معدودة، معتصرة من تلك التجارب.. فأهدوها خالصة من كل الشوائب لبني جلدتهم.. حتى لا يقعوا في ضلالات، ويعيشوا سعداء..

والسعيد من عرف نفسه فهذبها.. وأوقفها عند حدها..

الحكمة: رسالة هدفها نشر الخير والمحبة والسلام والمعرفة بين بني البشر.. قال الله تعالى:

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ إبراهيم ٢٤ ـ ٢٥.

والحكمة: نورٌ تعلو أضواؤه إلى بروج الحلم والسؤدد، فيضيء العقل ويبهج النفس..

يقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

«الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك»[1].

وقال الفضيل: (نعمت الهدية الكلمة من الحكمة، يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه)[2].

لأنها هدية تنور ظلمات النفس وتكسب صاحبها مناعة ضد الجهل والقلق..

ورد في الحديث الشريف:

«ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة»[3]

ومدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل اليمن بقوله:

«أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية..»[4]

ولكن..

---

(١) رواه ابن عدي وأبو نعيم. انظر كشف الخفا جـ١ ص ٤٣٥.

(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ جـ١ ص ١٤١.

(٣) رواه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم، والديلمي، وآخرون، عن ابن عمر رفعه. وهو ضعيف. وأورد في الجامع الصغير عن ابن عمر؛ وأيضا بلفظ: (ما أهدى المرء المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى، أو يرده عن ردى). انظر كشف الخفا جـ٢ ص ٢٣٥.

(٤) **رواه الشيخان عن أبي هريرة. انظر كشف الخفا ج١، ص٤٦. قال ابن أثير:** إنما قال ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة. وهي من تهامة، وتهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال: الكعبة اليمانية. وقيل: إنه قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن. فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة. وقيل: أراد بهذا القول الأنصار لأنهم يمانون، وهم نصروا الإيمان والمؤمنين. فنسب الإيمان إليهم.. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن أثير الجزري جـ٥ ص ٣٠٠.

ما أكثر الحكم!.. وما أقل الحكماء!.
وما أكثر العبر!. وما أقل الاعتبار..!!

الحكمة في اللغة

(الحِكْمَة) - بكسر الحاء وسكون الكاف -: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

والحكمة: العلم والتفقه. قال تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾.

والحكمة: العدل.

والحكمة: العلّة. يقال: حكمة التشريع، وما الحكمة في ذلك؟

والحكمة: الكلام الذي يقلُّ لفظه ويجلُّ معناه. والجمع (حِكَم).

و (علم الحكمة): الكيمياء والطب.

و (الحُكْم) - بضم الحاء وسكون الكاف - تأتي بمعنى الحكمة. أي: العلم والتفقه.

ويقال: (استحكم فلان) أي: صار حكيما وتناهى عما يضره.

و (أحكمت التجارب فلاناً) أي: جعله حكيماً.

و (الحكيم) من أسماء الله تعالى. و: ذو الحكمة، و:

---

(١) انظر المعجم الوسيط.

الفيلسوف، و: الطبيب.

و (الذكر الحكيم): القرآن، لأنه الحاكم للناس وعليهم، ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب.

* * *

عرفت أن من أسماء الله سبحانه وتعالى (الحكيم). وقد ورد هـذا الاسم الجليل في القـرآن الكريم في أكـثر من تسعين موضعاً..

ووردت كلمة الحكمة في القرآن في عشرين موضعاً.. ما عدا المشتقات... وكل هذا يدل على قيمتها.. وأن لها شأناً عظيمًا.

الله الحكيم

معنى الحكيم: ذو الحكمة. وقيل: المحكم لمبدعاته.

- فهو تعالى: المحكم لما يريد.

- وفاعل لأفعاله حسبما تقتضيه الحكمة.. فهو ذو حكمة بالغة.

- ويراعي في أحكامه مصالح عباده.

- وهو تعالى المتقن لما صنع، المبالغ في الإحكام، وهو إتقان التدبير وإحسان التقدير.

- وهو الذي يضع الأشياء مواضعها.

- فلا يريد ولا يفعل إلا ما فيه الحكمة، يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها.. فلا قصور في تدبيره.

إنه يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول، وتحار في فهمه ألباب الفحول[1].

(١) انظر المعاني متفرقة في روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للعلامة الآلوسي البغدادي.

القرآن الحكيم

وقد نعت الله سبحانه وتعالى كتابه بأنه حكيم. فقال تعالى:

ـ «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم»[1].

والذكر هنا: القرآن الحكيم؛ أي: المحكم المتقن نـظمه أو الممنوع من الباطل.

ـ وقال تعالى: «الر. تلك آيات الكتاب الحكيم»[2].

ـ وقال تعالى: ﴿ ألم . تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾[3].

فالحكيم هنا صفة للكتاب، ووصف بذلك لاشتماله على الحكم، فيراد بالحكيم ذو الحكمة.. وقد يعتبر تشبيه الكتاب بإنسان ناطق بالحكمة على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الحكمة قرينة لها. وجوز أن يكون وصفه بذلك لأنه حكيم. فالمعنى: حكيم قائله..

وقيل: لأن آياته محكمة لم ينسخ منها شيء، أي: بكتاب آخر. ففعيل بمعنى مُفْعل.

ـ وقال تعالى: ﴿ الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من

(١) آل عمران (٥٨)

(٢) يونس(١)

(٣) لقمان (١)

لدن حكيم خبير ﴾[١].

وأحكمت أي: نظمت نظمًا محكمًا لا يطرأ عليه اختلال، فلا يكون فيه تناقض أو مخالفة للواقع والحكمة أو أي شيء مما يخل بفصاحته وبلاغته..

- وقال تعالى: «يس. والقرآن الحكيم»[٢]. أي: ذي حكمة، على أنه صيغة نسبة. أو الناطقة بالحكمة، على أنْ يكون من الاستعارة المكنية، أو المتصف بالحكمة على أن الإسناد مجازي، وحقيقة الإسناد إلى الله تعالى المتكلم به.

- وقال تعالى: ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾[٣].

«وإنه» أي: القرآن. «في أم الكتاب» أي: في اللوح المحفوظ. «لدينا»: عندنا «لعلي»: رفيع الشأن بين الكتب لإعجازه واشتماله على عظيم الأسرار.

«حكيم»: ذو حكمة بالغة. أو محكم لا ينسخه غيره، أو حاكم على غيره من الكتب[٤].

---

(١) هود (١)

(٢) يس: (١ - ٢)

(٣) الزخرف: (٤)

(٤) انظر التفاسير في (روح المعاني) للآلوسي البغدادي.

الحِكمَة في القُرآن

ـ أما الحكمة في القرآن الكريم فقد وردت بمعان عدة. فهي تعني: وضع الأشياء في مواضعها، أو ما يزيل من القلوب وهج حب الدنيا، أو الفقه في الدين، أو معرفة حلاله وحرامه، أو السنة المبينة للكتاب، أو النبوة، أو حقائق الكتاب ودقائقه وسائر ما أودع فيه. وفسرها بعضهم بما تكمل به النفوس من المعارف والأحكام. .

ـ ومما ورد بمعنى السنة قوله تعالى:

﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[1].

﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾[2].

﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾[3].

ـ ومما ورد بمعنى النبوة قوله تعالى:

﴿ وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما

(١) البقرة: (١٢٩).
(٢) الأحزاب: (٣٤).
(٣) البقرة: (٢٣١).
(٤) النساء: (١١٣).

يشاء ﴾[١].

﴿ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكمًا ﴾[٢].

﴿ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيمًا ﴾[٣].

﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا ﴾[٤].

﴿ وشددنا ملكه وآتينا الحكمة وفصل الخطاب ﴾[٥].

وتأتي بمعنى الفقه وعلم الحلال والحرام، وقيل: جميع ما علمه من أمور الدين. وقيل: سنن الأنبياء عليهم السلام. وقيل. الصواب في القول والعمل. وقيل: إتقان العلوم العقلية والإيقاف على الأسرار المخبوءة في خزائن كلام الله تعالى[٦].

- وهي أيضاً الحجة القطعية المزيحة للشبه، أو الصواب الواقع من النفس أجمل موقع. قال تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾[٧].

وذكر عن أبي بكر بن دريد قوله: كل كلمة وعظتك وزجرتك أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك من قبيح فهي حكمة وحكم.

---

(١) البقرة: (٢٥١).

(٢) الشعراء: (٢١) وحكم هنا بمعنى حكمة.

(٣) النساء (٥٤).

(٤) القصص (١٤).

(٥) ص (٢٠).

(٦) انظر روح المعاني جـ ٣ ص١٦٦ وجـ ٤ ص١١٤.

(٧) النحل (١٢٥).

وقال بعضهم: الحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام. ومن الناس:علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية، وتلك الأعيان إما الأفعال والأعمال التي وجودها بقدرتنا واختيارنا، أولاً. فالعلم بأحوال الأول من حيث يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد يسمى حكمة عملية. والعلم بأحوال الثاني يسمى حكمة نظرية. وكل منهما ثلاثة أقسام. أما العملية فلأنها إما علم بمصالح شخص معين بانفراده ليتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل، ويسمى تهذيب الأخلاق، وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المنزل كالوالد والمولود، والمالك والمملوك. ويسمى تدبير المنزل. وإما علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة ويسمى سياسة المدينة. وهذا الكتاب يشتمل أصول هذه الأقسام الثلاثة إجمالاً[1].

وتأتي بمعنى علم الشرائع، أو معرفة الحق سبحانه لذاته، والخير للعمل به، أو الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ والفساد. قال تعالى: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾.

- وهي - أيضاً - العقل والفهم والفطنة،والإصابة في القول، ومعرفة الموجودات،وفعل الخيرات،وتوفيق العمل بالعلم.

وهي: المنطق الذي يتعظ به ويتنبه ويتناقله الناس لذلك.

وقيل: إتقان الشيء علماً وعملاً. وقيل: كمال حاصل

---

(١) انظر كتاب (منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين) تأليف أويس وفا بن محمد بن أحمد بن خليل بن داود الأرزنجاني ط ١٣٢٨.

باستكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها[١].

ـ وتأتي أيضاً بمعنى الموعظة. قال تعالى: ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾[٢].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾[٣].

قال ابن عباس: إنها المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. وفي رواية عنه: الفقه في القرآن. ومثله عن قتادة والضحاك وخلق كثير. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء: الحكمة: قراءة القرآن والفكرة فيه. وعن مجاهد: أنها الإصابة في القول والعمل. وفي رواية عنه: أنها القرآن والعلم والفقه، وفي أخرى: العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته، وعن عطاء: أنها المعرفة بالله تعالى[٤].

ـ وقيل: الحكمة هو النور الفارق بين الإلهام والوسواس، ويتولد هذا النور في القلب من الفكرة والعبرة.. وذكر أن الحكمة ثلاث: حكمة القرآن وهي حقائقه، وحكمة الإيمان وهي المعرفة، وحكمة البرهان وهي إدراك لطائف صنع الحق في الأفعال.

---

(١) انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.

(٢) لقمان: (١٢).

(٣) البقرة: (٢٦٩).

(٤) انظر (روح المعاني) متتبعاً كلمة الحكمة كما وردت في القرآن الكريم.

وذكر أن فيها تسعة وعشرين قولاً لأهل العلم قريب بعضها من بعض. وعدّ بعضهم الأكثر منها. وعن مقاتل: أنها فسرت في القرآن بأربعة أوجه، فتارة بمواعظ القرآن، والأخرى بما فيه من عجائب الأسرار، ومرة بالعلم والفهم، وأخرى بالنبوة[١].

* * *

وقد تأتي كلمة (حُكْم) بمعنى (حكمة). قال الله تعالى:

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي ﴾[٢]

﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾[٣].

﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً ﴾[٤].

﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا ﴾[٥].

﴿ وكذلك أنزلناه حكمًا عربياً ﴾[٦].

﴿ ولوطاً آتيناه حكمًا وعلمًا ﴾[٧].

﴿رب هب لي حكمًا وألحقني بالصالحين ﴾[٨].

﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكمًا ﴾[٩].

﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا ﴾[١٠]

---

(١) روح المعاني للآلوسي.
(٢) آل عمران: (٧٩).
(٣) الانعام: (٨٩).
(٤) مريم: (١٢).
(٥) يوسف: (٢٢).
(٦) الرعد: (٣٧).
(٧) الانبياء: (٧٤).
(٨) الشعراء: (٨٣).
(٩) الشعراء: (٢١).
(١٠) القصص: (١٤).

كيف تصبح حكيمًا ؟!

ـ لا شك أنه سؤال يثير في النفس كوامن الخير والتفاؤل . .

ويتنشط القلب ليجدد دورته ويقبل على الحياة بروح جادة نشطة . . إنه سؤال يبرق نفسه إلى العقل ليتحسس منه جواباً فيه العزيمة والقوة. وتنتظر النفس إشارة العقل لتتحزم بالصبر والجَلَد.

ولكن ! !

إن للإنسان أن يعالج بالحكمة نفسه وأفكاره وملاحظاته . . .

أما أن يصدّر هو الحكم . . ويعظ بها الناس . . وتتناثر منه الألفاظ القليلة العدد، الجليلة المعنى، كالدرر المتناثرة هنا وهناك، يعجب بها كل من يراها . . ويصفها كل من ينظر إليها بالحكمة، فليس من الأمر السهل اليسير . . ولا بد له من شروط! كصفاء النفس، وحنكة التجارب، والصبر الطويل، والحلم، والتفكير، وحب الخير . . الخ . وبشكل عام أن تتوفر فيه الصفات الحميدة، وأن يعمل بها . . وأن يكون قدوة يقتدى به في العلم والعمل . . فقد قيل :

(لا يكون الرجل حكيمًا حتى يكون حكيمًا في قوله وفعله ومعاشرته وصحبته)[1].

ولا ينالها الا من أراد الله تعالى له ذلك.. فيهبها له بموجب سعة فضله وإحاطة علمه.. فهي ليست بالأمر الهين.. بل إنها الخير الكثير الذي مدح الله تعالى المتصف بها فقال:

﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾[2].

وذكر منَّه وفضله على لقمان إذ قال:

«ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله»[3].

وقد ورد في الحديث الشريف: «كاد الحكيم أن يكون نبياً »[4].

وفي «التأويلات النجمية»: الحكمة عدل الوحي، قال عليه السلام: «أوتيت القرآن وما يعدله». وهو الحكمة، بدليل قوله تعالى: «ويعلمهم الكتاب والحكمة»[5]. فالحكمة موهبة للأولياء، كما أن الوحي موهبة للأنبياء، وكما أن النبوة ليست كسبية بل هي فضل الله يؤتيه من يشاء، فكذلك الحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء إياه طريق تحصيلها، بل بإيتاء الله تعالى، كما علمنا النبي ـ عليه السلام ـ طريق تحصيلها بقوله: «من أخلص لله أربعين صباحاً

---

(١) انظر تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٠.

(٢) البقرة: (٢٦٩).

(٣) لقمان: (١٢).

(٤) رواه الخطيب بسند ضعيف والديلمي، عن أنس مرفوعاً. انظر كشف الخفا جـ ٢ ص ١٤٠.

(٥) الجمعة (٢).

ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[1]. وكما أن القلب مهبط الوحي من إيحاء الحق تعالى، كذلك مهبط الحكمة بإيتاء الحق تعالى، كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾. وقال: «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً». فثبت أن الحكمة من المواهب لا من المكاسب، لأنها من الأقوال لا من المقامات.

والمعقولات التي سمتها الحكماء حكمة وليست بحكمها، فإنها من نتائج الفكر السليم من شوب آفة الوهم والخيال، وذلك يكون للمؤمن والكافر، وقلما يسلم من الشوائب، ولهذا وقع الاختلاف في أدلتهم وعقائدهم. ومن يحفظ الحكمة التي أوتيت لبعض الحكماء الحقيقية لم تكن هي حكمة بالنسبة إليه، لأنه لم يؤت الحكمة ولم يكن هو حكيماً[2].

إذن فمن الذي أطلق لفظ الحكمة على (الفلسفة)؟

لقد رأيت معي أن علماءنا لا يحبذون إطلاق الحكمة على الفلسفة، ولكن الذي حدا بهم إلى هذا هو الترجمة الحرفية لتلك الكلمة.

فـ (الفلسفة) أصلها كلمة يونانية، مركبة من كلمتين هما (فيلوس) أي: محب. و (سوفيا) أي: الحكمة. فيكون معناها: محبة الحكمة.

---

(١) سيمر بك تخريج الحديث.

(٢) انظر (روح البيان في تفسير القرآن) للشيخ إسماعيل حقي. جـ ٣ ص ٤٩.

وقد ذكر الفلاسفة (سيرون وكانتليان وديوجين لاكريث) من فلاسفة القدماء بأن أول من أطلق هذه الكلمة على الحكمة هو (فيثاغورس) الفيلسوف اليوناني الذي كان موجوداً في القرن السادس قبل عيسى عليه السلام. وقد أسندت هذه الرواية إلى (هيرا قليد دوبون) أحد تلاميذ (أفلاطون). وقد بين العلة التي جدت بـ (فيثاغورس) إلى إطلاق (الفلسفة) على الحكمة فقال: قال (فيثاغورس): إن الحكيم الحق هو الله سبحانه وتعالى. وليس للإنسان أن يزعم بأنه يملك الحكمة وكل ما يسمح له به أن يحبها وأن يطلبها.

ومهما يكن من الأمر فإن الأقدمين كانوا يطلقون لفظ (الفلسفة) بأعم معانيها على مجموع ثمرات العقل. وقد بقيت هذه التسمية تدل على ذلك مدة طويلة..

وكلمة (فلسفي) لم تكتسب معناها الصحيح إلا في المذهب الذي قام بنشره (سقراط). فلما جاء (أفلاطون) حصر ذلك المعنى في مجال أضيق. فكان الفيلسوف في عرفه هو الذي يستطيع أن يدرك الموجود الذي لا يتغير بحال من الأحوال. وهذا الموجود الذي لا يتغير كان عنده يقابل الكائن الذي يتغير وليس له من الوجود إلا ظاهره فقط. فلم تكن الفلسفة علماً خاصاً. ولكنها كانت إذ ذاك مجموع العلوم كلها[1].

وقد اشتهر العرب بالفلسفة أيضاً، وأخذوها عن اليونان،

---

(١) انظر كل هذا، وتابع تطور مدلول (الفلسفة) على مر الزمن في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي. جـ ٧ص (٤٠٤ـ٤١١) الطبعة الثالثة ١٩٧١.

وصبغوها بصبغة عربية وصلت إلى قمة التفكير العقلي. وقد اشتهر منهم فلاسفة كثر. كالغزالي(١)، وابن رشد(٢)، والفارابي(٣)، وابن سينا(٤)، وابن الفارض(٥) وغيرهم.

* * *

وحق للمرء أن يغبط الحكيم على عقله وحلمه ورشده ولآلىء كلماته. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله تعالى مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله تعالى الحكمة فهو يقضي بها

---

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام، فيلسوف متصوف. له نحو مائتي مصنف ولد سنة (٤٥٠) وتوفي سنة (٥٠٥) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي جـ ٧ ص ٢٢.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد من أهل قرطبة. ولد سنة (٥٢٠) وتوفي سنة (٥٩٥) انظر ترجمته في الأعلام جـ ٥ ص ٣١٨.

(٣) هو: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني، أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل مستعرب. ولد سنة (٢٦٠) وتوفي سنة (٣٣٩) انظر ترجمته في الأعلام جـ ٧ ص ٢٠

(٤) هو: الحسين بن عبد الله بن سينا شرف الملك: الفيلسوف الرئيس. صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ ومولده في إحدى قرى بخارى. ولد سنة (٣٧٠) وتوفي (٤٢٨) انظر جـ ٢ ص ٢٤١ من الأعلام.

(٥) هو: عمر بن علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة. ولد سنة (٥٧٦) وتوفي سنة (٦٣٢). انظر ترجمته في الأعلام جـ ٥ ص ٥٥.

ويعلمها»[1]. ولله در القائل حين وصف الحكماء العارفين بقوله:

هَـيْنـونَ لـيْـنـونَ أيـسـارٌ بـنـو يَـسِـرٍ
سوّاس مُكرَمةٍ أبناءُ أيسارِ
لا يَنْـطقـونَ بغـيـرِ الـحـقّ إنْ نـطقـوا
ولا يمارونَ إن ماروا بإكثارِ
مَـنْ تـلقَ مـنـهـمْ تَـقـلْ لاقَـيـتُ سَـيـدهـمْ
مثلَ النجومِ التي يسري بها الساري[2]

وعندما تقرن كلمة الحكيم برجل ما، فهذا يعني أنه متصف بالأخلاق النبيلة الفاضلة كلها، ونحن نذكر هنا الغالب من صفات الحكماء، مختصرين بعض أقوال علماء أجلاء، عرفوا بالسيرة الحسنة والحكمة العظيمة.. فمن توفرت فيه خصلة، من هذه الخصال فهذا يعني أنه قد توفرت فيه صفة من صفات الحكيم..

ولا يقل أحد: إن هذه الأخلاق يتعذر تطبيقها. فان الرجل الذي عرف الحق واستنار قلبه بالحكمة لا يخاف الباطل. وقد أخذ على نفسه العهد أن يقول الحق ويلتزم فضائل الأخلاق لا يخشى في ذلك لومة لائم، فالصراع بين الحق والباطل ليس جديداً، وهو باق بقاء هذه الحياة. لذلك فهو لا يأبه بكيد

(١) أخرجه البخاري ومسلم، عن عبد الله بن مسعود. انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٤١.

(٢) انظر إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٣٢١.

المبطلين، ولا أراجيف المنافقين، ولا وسوسة الشياطين.. وما الحياة الا صراع بين الحق والباطل...

١ ـ معرفة الله تعالى كما يجب حق المعرفة، وقبل كل شيء..

يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ: «من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله لم يستحق أن يسمى حكيمًا، لأنه لم يعرف أجلَّ الأشياء وأفضلها. والحكمة أجل العلوم، وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أجلَّ من الله، ومن عرف الله فهو حكيم وإن كان ضعيف المنّة في سائر العلوم الرسمية، كليل اللسان قاصر البيان فيها، ومن عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره، فإنه قلما يتعرف للجزئيات، بل يكون كلامه جلياً ولا يتعرض لمصالح العاجلة، بل يتعرض لما ينفع في العاقبة. ولما كانت الكلمات الكلية أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية، ويقال للناطق بها الحكيم وذلك مثل قول سيد الأنبياء عليه السلام: «رأس الحكمة مخافة الله» «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»[١] «كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن تقياً تكن أشكر الناس» «البلاء موكل

---

(١) رجاله رجال الصحيح غير صدقة بن الربيع وهو ثقة. رواه أبو يعلى والعسكري. انظر أسنى المطالب ص ١٩٥.

بالمنطق»[1] «السعيد من وعظ بغيره»[2] «القناعة مال لا ينفد»[3] «اليقين الإيمان كله»[4]. فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة، وصاحبها يسمى حكيمًا»[5].

٢ ـ التحلي بفضائل الأخلاق.

وللمتقدمين ومن سلك مسلكهم في ضبط الفضائل وحدودها طريقة، وهي حصر أصولها وتفريع شعب كل منها.

والأصول أربعة: ثلاثة مفردة وهي: الحكمة، الشجاعة، والفقه. وواحد مركب من مجموع هذه الثلاثة، وهي: العدالة.

فشعب الحكمة سبع:

(١) صفاء الذهن: استعداد النفس لاستخراج المطلوب بلا تشويش.

---

(١) البلاء موكل بالقول. وفي رواية بالمنطق. أورده ابن الجوزي في الموضوع. وقيل: ضعيف. انظر كتاب: (أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب) تأليف الشيخ محمد ابن السيد درويش الشهير بالحوت البيروتي ص (٨٤) الطبعة الأولى (١٣٥٥) هـ.

(٢) السعيد من وعظ بغيره. والشقي من شقي في بطن أمه. رواه مسلم. أسنى المطالب ص ١٢٤

(٣) القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى. سنده ضعيف. قاله الذهبي. أسنى المطالب ص ١٥٨.

(٤) قال الصنعاني: موضوع، كما نقله عنه القاري. انظر كتاب (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) للشيخ إسماعيل ابن محمد العجلوني الجراحي جـ٢ ص ٥٣٧ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.

(٥) انظر هذا كله كما نقله صاحب روح البيان جـ ٣ ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٢)جودة الفهم: صحة الانتقال من الملزوم إلى اللازم.
(٣) الذكاء: سرعة اقتداح النتائج.
(٤) حسن التصور: البحث عن الأشياء بقدر ما هي عليه.
(٥) سهولة التعلم: قوة النفس على درك المطلوب بلا زيادة سعي.
(٦) الحفظ: ضبط الصور المدركة.
(٧) الذكر: استحضار المحفوظات.

وشعب الشجاعة اثنتا عشرة:

(١) كبر النفس: استحقار اليسار والفقر والكبر والصغر.
(٢) العفو: ترك المجازاة بسهولة من النفس مع القدرة.
(٣) عظم الهمة: عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها.
(٤) الصبر: قوة مقاومة الآلام والأهوال.
(٥) النجدة: عدم الجزع عند مخلوق.
(٦) الحلم: الطمأنينة عند سورة الغضب.
(٧) السكون: التأني في الخصومات والحرب.
(٨) التواضع: استعظام ذوي الفضائل ومن دونه في المال والجاه.
(٩) الشهامة: الحرص على ما يوجب الذكر الجميل من العظام.
(١٠) الاحتمال: إتعاب النفس في الحسنات.
(١١) الحمية: المحافظة على الحرم والدين من التهمة.
(١٢) الرقة: التأذي عن أذى يلحق الغير.

وشعب العفة اثنتا عشرة:

(١) الحياء: انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح.
(٢) الصبر: حبس النفس عن متابعة الهوى.
(٣) الدعة: السكون عند هيجان الشهوة.
(٤) النزاهة: اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم وإنفاق في المصارف الحميدة.
(٥) القناعة: الاقتصار على الكفاف.
(٦) الوقار: التأني في التوجه نحو المطالب.
(٧) الرفق: حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل.
(٨) حسن السمت: محبة ما يكمل النفس.
(٩) الورع: ملازمة الأعمال الجميلة.
(١٠) المروءة: الرغبة الصادقة للنفس في الإفادة بقدر ما يمكن.
(١١) الانتظار: تقديم الأمور وترتيبها بحسب المصالح.
(١٢) السخاء: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي. وهذا تحته ستة أنواع:

أ - الكرم: الإعطاء بالسهولة وطيب النفس.
ب - الإيثار: أن يكون مع الكف عن حاجته.
جـ - النبل: أن يكون مع السرور.
د - المواساة: أن يكون مع مشاركة الأصدقاء.
هـ - السماحة: بذل ما لا يجب تفضلاً.
و - المسامحة: ترك ما لا يجب تنزهاً.

وشعب العدالة أربع عشرة:

(١) الصداقة: المحبة الصادقة بحيث لا يشوبها غرض ويؤثره على نفسه في الخيرات.

(٢) الألفة: اتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش.
(٣) الوفاء: ملازمة طريق المساواة ومحافظة عهد الخلطاء.
(٤) التودد: طلب مودة الأكفاء بما يوجب ذلك.
(٥) المكافأة: مقابلة الإحسان بمثله أو زيادة.
(٦) حسن الشركة: رعاية العدل في المعاملات.
(٧) حسن القضاء: ترك الندم والمن في المجازاة.
(٨) صلة الرحم: مشاركة ذوي القرابة في الخيرات.
(٩) الشفقة: صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس.
(١٠) الإصلاح: التوسط بين الناس في الخصومات بما يدفعها.
(١١) التوكل: ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر.
(١٢) التسليم: الانقياد لأمر الله تعالى وترك الاعتراض فيما لا يلائم.
(١٣) الرضا: طيب النفس فيما يصيبه ويفوته مع عدم التغير.
(١٤) العبادة: تعظيم الله وأهله وامتثال أوامره.

.. هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله، ولأن يموت الإنسان في طلب حسن الخلق خير له من أنّ يهلك كارهاً له مبغضاً لأهله(١).

٣ ـ مخافة الله وخشيته في السر والعلن، فإن ذلك درع وتقية من الوقوع في المعاصي، وسبب للوصول إلى المعالي.. قال عليه الصلاة والسلام: «تقوى الله رأس كل حكمة»(٢).

(١) انظر (منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين) تأليف أويس وفا الأرزنجاني ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٢) قال في المقاصد: عزاه الديلمي لأنس مرفوعاً بلا إسناد. انظر كشف الخفاجـ ١ ص ٣٧٢.

وفي رواية: «خشية الله رأس كل حكمة»[1]. وفي رواية: «رأس الحكمة مخافة الله»[2]. وقال الله تعالى: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[3] ﴿ ومن يتق الله يكفِّر عنه سيآته ويُعظم له أجراً ﴾[4].

٤ ـ الاستقامة في القول والعمل، ونبذ أقوال المبتدعين وذوي الأهواء.. قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري (المتوفى سنة ٢٩٨): من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة[5].

٥ ـ أن يخلص المرء في أعماله، وأن لا يبتغي من ورائها شهرة أو منصباً أو جزاءاً أو شكوراً.. وإنما يبتغي وجه ربه ومرضاته.. ورد في الأثر:

---

(١) هو معنى تقوى الله. وقال النجم: أخرجه القضاعي عن أنس بزيادة: والورع سيد العمل. انظر كشف الخفاجـ ١ ص ٤٥٣

(٢) وفي رواية: «رأس الحكمة خشية الله»: رواه البيهقي في الدلائل، والعسكري في الأمثال، والديلمي عن عقبة بن عامر قال: خرجنا في غزوة تبوك، فذكر حديثاً طويلاً فيه قول النبي ﷺ: «أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، والخمر جماع الإثم» ورواه العسكري أيضاً فقط من حديث عمرو بن ثابت، عن أبيه أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «إن أشرف الحديث كتاب الله» فذكر حديثاً، وفيه: «رأس الحكمة مخافة الله».. واخرج ابن لال عن أبي مسعود مرفوعاً الجملة الأخيرة فقط، ورواه البيهقي في شعبه عن ابن عباس موقوفا، وضعفه.. انظر كشف الخفاجـ ١ ص ٥٠٧

(٣) الحجرات: (١٣).

(٤) الطلاق: (٥). (٥) انظر الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ص ٢٠.

«من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١).

وذكر عن مالك بن دينار قوله: من أراد أن يفتح الله عين قلبه، فليكن عمله في السر أكثر من عمله في العلانية، لأن عمل السر منبع، والإخلاص منبع الحكمة(٢).

٦ ـ شكر الله، ورد الجميل بين الناس وشكرهم، لأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله.. يقول الإمام الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أن أشكر لله﴾(٣): (وقد نبه الله ـ سبحانه ـ على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له، حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر)(٤). والتقدير: آتينا لقمان الحكمة، حيث جعلناه شاكراً في نفسه(٥).

---

(١) رواه ابو نعيم بسند ضعيف عن أبي أيوب. وقال في اللآلىء: رواه أحمد وغيره عن مكحول مرسلاً بلفظ: «من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وروي مسنداً من حديث ابن عطية، عن ثابت، عن أنس بسند فيه يوسف ضعيف لا يحتج به. ورواه القضاعي عن ابن عباس مرفوعاً... وروى ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى رفعه.. وأورده الصغاني بلفظ: «من اخلص لله أربعين صباحاً نور الله تعالى قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. وقال: إنه موضوع. انظر كشف الخفا جـ ٢ ص ٢٩٣.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (١٢٦٦) هـ ص ٣٢٠ الطبعة الأولى ١٣٨١.

(٣) لقمان (١٢).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ١٩٥.

(٥) انظر فتح البيان في مقاصد القرآن، تأليف صديق حسن خان جـ ٧ ص ٢٨٢.

٧ ـ الصمت وترك فضول الكلام: يقول عليه الصلاة والسلام:

«إذا رأيتم العبد صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة»[١].

وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال: (الصمت حكمة، وقليل فاعله)[٢].

وورد: إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب[٣].

ويقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

فالزم الصمت إنَّ في الصمتِ حُكْمًا ... وإذا أنتَ قلتَ قولاً فزنْه[٤]

وقالتَ الحكماء: الزم السكوت فإن فيه السلامة، وتجنب

---

(١) اخرجه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بسند فيه ضعف. انظر إحياء علوم الدين جـ. ٤ ص ٤٢٥ الهامش.

(٢) قال في التمييز: أخرجه البيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً بسند ضعيف، وصحح أنه موقوف من قول لقمان الحكيم. وقال النجم: رواه الديلمي عن ابن عمر به، وعند البيهقي عن أنس بلفظ: «الصمت حكمة». ثلاثاً. قال: والصحيح رواية ثابت عن أنس أن لقمان قال ذلك، ولذا أخرجه ابن حبان في روضة العقلاء بسند صحيح انظر كشف الخفاجـ ٢ص٤١.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا ـ في الصمت، عن الأوزاعي، قال: قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وسئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه (فقال): إن كان الكلام من فضة فإن الصمت عن معصية الله من ذهب. وذكر ابن المبارك أبياتاً آخرها:

إن كان من فضة كلامك يا نفـ ... ـسي فـإن السكـوت من ذهـب

وفي كلام ابن المبارك إشارة الى تأويله و أوَّله بعضهم بأنه محمول على ما ليس فيه فائدة شرعية، وإلا فقد يكون النطق واجباً، وقد يكون مندوباً. انظر كشف الخفاجة ١ ص ٣٠٤.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ جـ١ ص ١٥٠ طبعة ١٩٦٨.

الكلام الفارغ فإن عاقبته ندامة(١).

والحكيم يحرص أن تكون كلماته معدودة وذات فائدة، ويبتعد ـ جاهداً ـ عن الكلام اللغو الذي لا فائدة منه.. ولا يتكلم إلا عند الحاجة.

قال حكيم: اعقل لسانك إلا عن حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها(٢).

ويقول عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ: من ترك فضول الكلام منح الحكمة، ومن ترك فضول النظر منح خشوع القلب، ومن ترك فضول الطعام منح لذة العبادة، ومن ترك فضول الضحك منح الهيبة، ومن ترك المزاح منح البهاء، ومن ترك حبَّ الدنيا منح حبَّ الآخرة، ومن ترك الاشتغال بعيوب غيره منح الإصلاح بعيوب نفسه، ومن ترك التجسس في كيفية الله تعالى منح البراءة من النفاق(٣).

ويقول الجاحظ: وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه(٤).

٨ ـ التفكر: فقد ذكر عن لقمان أنه كان يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان، إنك تديم الجلوس وحدك، فلو جلست مع الناس كان آنس لك. فيقول

---

(١) انظر كتاب كليلة ودمنة ص ٢٨ طبعة ١٩٦٩.

(٢) انظر (هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة) للشيخ علي محفوظ ص ٢٨٠ طبعة ١٣٧١ هـ.

(٣) انظر كتاب (منبهات ابن حجر العسقلاني) ص ٣١ طبعة استانبول.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص٦٨.

لقمان: إن طول الجلسة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة[1].

ويقول الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر، وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة[2].

ويقول ممشاد الدينوري: الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر[3].

٩ ـ الخلوة: لا بد للإنسان من ساعات في نهاره يختلي بنفسه ويحاسبها على ما فرطت من أمور فيرجعها إلى الحق، أو يكفها عن التمادي في الباطل. وقد ذكر أن العاقل الحكيم لا يخلو من أربع ساعات: ساعة فيها يناجي ربه، وساعة فيها يحاسب نفسه، وساعة يمشي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، وساعة فيها يخلّي بين نفسه وبين لذاتها الحلال[4].

١٠ ـ الزهد في الدنيا: قال عليه الصلاة والسلام: «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، فأنطق بها لسانه، وعرّفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»[5].

ولا شك أن الزهد يبعد المرء عن التفكر في أمور الدنيا ومشاغلها التي تأخذ وقتاً كثيراً من الحياة ويبصره بحقائق

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٢) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٤٢٥.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٨.

(٤) انظر منبهات ابن حجر العسقلاني ص ١٨.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا، من كتاب ذم الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلاً. انظر إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٢٢١ الهامش.

الأمور وعواقبها.. يقول ذو النون المصري: اليقين داع إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد. والزهد يورث الحكمة، والحكمة تورث النظر في العواقب[1].

وسئل مالك مرة عن الحكمة فقال: ما زهد عبد واتقى إلا أنطقه الله بالحكمة[2].

١١ ـ الجوع: إن الحكمة لا تكلف صاحبها مؤونة فانية من عرض الدنيا الزائل.. بل الإفراط في الحرص على الدنيا يقضي على نور الحكمة وبهجة دوامها. قال عليه الصلاة والسلام: «نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله ـ عز وجل ـ الشبع، والقربة إلى الله ـ عز وجل ـ حبُّ المساكين والدنو منهم. لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم، ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح»[3].

وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال: من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق، لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل[4].

---

(١) انظر الرسالة القشيرية ص ٨٣.

(٢) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٣٢٠.

(٣) ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه أنه مسند، وهي علامة ما رواه بإسناده. انظر إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ٨٥ الهامش.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣ ص ٨٧.

وكان الشيخ مظفر القرمسيني يقول: الجوع إذا ساعدته القناعة فهو مزرعة الفكر، وينبوع الحكمة، وحياة الفطنة، ومصباح القلب[1].

ويقول الإمام أبو القاسم القشيري: إن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع، وكثرت الحكايات عنهم في ذلك[2].

وقيل: وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع: العزَّ في الطاعة، والذلَّ في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة[3].

١٢ ـ الرضا والقناعة بما قسم الله. جاء في المثل: (الحكيم يقدع النفس بالكفاف). وكفاف الرجل ما يكفّه عن وجوه الناس، ومعنى يقدع: يمنع. يعني: أن الحكيم يمنع نفسه عن التطلع إلى جمع المال، ويحملها على الرضا بالقليل[4].

١٣ ـ عدم الإفراط في أمور الدنيا والركون إلى مشاغلها.. قال بعض الحكماء: الحكمة تهيج من أربعة أشياء: أولها: بدن فارغ من أشغال الدنيا. والثاني: بطن خال من الطعام. والثالث: يد خالية من عروض الدنيا. والرابع: التفكر في عاقبة الدنيا[5].

---

(١) الرسالة القشيرية: ص ٢٧.

(٢) الرسالة القشيرية: ص ٦٦.

(٣) الرسالة القشيرية: ص ٧٥.

(٤) انظر مجمع الأمثال جـ ١ ص ٢١٥. المثل رقم (١١٥٩).

(٥) يعني: في عاقبة أمره فإنه لا يدري كيف تكون عاقبته، ولا يدري أن أعماله تتقبل أم لا، فإن الله تعالى لا يتقبل من الأعمال إلا الطيب.

وكان يحيى بن معاذ يقسم أنه لا تسكن الحكمة قلباً فيه ثلاث خصال: همُّ الرزق، وحسن الخلق، وحب الجاه(١).

ويجب التفرغ للعلم أكثر الأوقات وتفضيله على أعمال أخرى أقل فائدة. يقول الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ:

لا يدركُ الحكمةَ مَنْ عمرهُ يكدحُ في مصلحةِ الأهلِ
ولا ينالُ العلمَ إلا فتىً خالٍ من الأفكارِ والشغلَ
لو أنَّ لقمانَ الحكيم الذي سارتْ به الركبانُ بالفضلَ
بُـلي بفقرٍ وعيالٍ لما فرَّقَ بين التبنِ والبقلِ(٢)

١٤ ـ ـ إيثار الآخرة على الدنيا، وتفضيلَ الباقي على الفاني. يقول يحيى بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ: ما عصى الله كريم. وما آثر الدنيا على الآخرة حكيم(٣).

١٥ ـ العمل شرف لحماية النفس والوجه من السؤال: قال ابن وهب: لا يكون البطال من الحكماء. وذكر عن ابن مسعود أنه قال: إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا الآخرة. وذكر الزمخشري في تفسيره سورة الانشراح عن عمر بلفظ: إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة(٤).

١٦ ـ مجالسة العلماء والحكماء والابتعاد عن قرناء السوء: يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «جالسوا العلماء،

(١) إيقاظ الهمم ص ٣٣٥.
(٢) منهاج اليقين في شرح أدب الدنيا والدين ص ٧٥.
(٣) انظر منبهات ابن حجر العسقلاني ص ٣.
(٤) انظر ـ باختصار ـ كشف الخفاجـ ١ ص٢٩١.

وسائلوا الكبراء، وخالطوا الحكماء»[1].

وكان عامر بن الظرب العدواني حكيمًا، وكان خطيباً رئيساً. وهو القائل: يا معشر عدوان، إن الخير ألوف عزوف، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه. وإني لم أكن حكيمًا حتى اتبعت الحكماء. ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم[2]. وقال بعض الشعراء:

مجالسةُ السفيه سفاهُ رأيٍ ومنْ عقلٍ مجالسةُ الحكيمِ
فإنكَ والقرينُ معاً سواءُ كما قدَّ الأديمُ من الأديمِ[3]

(١) قال في الأصل: رواه والطبراني، والعسكري، عن أبي جعفر مرفوعاً. وروي أيضاً عن أبي جحيفة موقوفاً، قال: كان يقال: جالس الكبراء، وخالط العلماء، وخالل الحكماء. وفي الباب مارواه العسكري عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ. وقيل: «يا رسول الله، من نجالس؟ أو قال: أي جلسائنا خير؟ قال: من ذكركم الله رؤيتهُ، وزاد في علمكم منطقه وذكركم الآخرة علمه» وروى العسكري عن ابن عيينة قال: قيل لعيسى: يا روح الله، من نجالس؟ فقال: من يزيد علمكم منطقه، ويذكركم الله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة علمه ورواه الديلمي من طريق الطبراني عن أبي أمامة بلفظ: «جالسوا العلماء وزاحموا بوابيهم» ورواه في الجامع الصغير للطبراني عن أبي جحيفة بلفظ: «جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء». انظر كشف الخفاء جـ ١ ص ٣٩٤.

(٢) هو عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدواني: حكيم، خطيب، رئيس، من الجاهليين. كان إمام مضر وحكمها وفارسها وممن حرّم الخمر في الجاهلية. وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهمًا ولا بحكمه حكمًا. وهو أحد المعمرين في الجاهلية، وأول من قرعت له: العصا، وكان يقال له: ذو الحلم وفيه قول الشاعر: «إن العصا قرعت لذي الحلم». انظر الأعلام جـ٣ ص ٢٥٢.

(٣) انظر منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص ٣٠٢.

ومما ينسب إلى الجاحظ شعراً قوله:

يطيبُ العيشُ أنْ تلقى حكيمًا غِذاهُ العلمُ والفهمُ المصيبُ
فيكشفُ عنكَ حيرةَ كلِّ جهلٍ وفضلُ العلمِ يعرفهُ اللبيبُ
سقامُ الحرصِ ليسَ لهُ شفاءٌ وداءُ الجهلِ ليسَ لهُ طبيبُ(١)

١٧ ـ معاشَرة الناس بالمعروف ومعاملَتهم بالرفق: يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»(٢). وجاء في الحديث: «ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً، حتى يجعل الله له من ذلك مخرجاً»(٣).

ومن المعاشرة بالمعروف: التيسير على الناس. قال بعض العلماء: من حكمة الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها(٤).

١٨ ـ الإقدام على الأمور ببصيرة وتحفظ: (والرجل الحكيم لا يلج مولجاً حتى يتبين خيره وشره قبل ولوجه)(٥).

---

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ـ المقدمة ص ١١.

(٢) اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما. انظر كشف الخفاء جـ ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٣) رواه الحاكم، ومن طريقه الديلمي عن محمد بن الحنفية رفعه مرسلاً، ورواه الحسن بن عرفه في جزئه، عن ابن المبارك موقوفاً، ورواه الخطابي وأبو الشيخ من طريق ابن عرفه وأورده الحكيم الترمذي ومن طريقه الديلمي عن ابن المبارك. . انظر كشف الخفاجه ٢ ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٤) الطبقات الكبرى للإمام الشعراني جـ١ ص ٨٨.

(٥) انظر كتاب (حجة الله البالغة) للشيخ شاه ولي الله الدهلوي جـ٢ ص ٢٤ دار المعرفة ـ بيروت.

١٩ ـ محادثة الناس على قدر عقولهم. قيل: ثلاث من علامات الحكمة: إنزال النفس من الناس منزلتها، وإنزال الناس من النفس منزلتهم، ووعظهم على قدر عقولهم، فيقوم بنفع حاضر.

وذكر عن علي قوله ـ كرم الله وجهه ـ: (حدثوا الناس بما يعرفون)(١).

٢٠ ـ التمييز بين القضايا وتقديمها على غيرها من حيث الأهمية.

يقول الإمام الرازي: الإنسان إذا علم أمرين، أحدهما أهم من الآخر، فإن اشتغل بالأهم كان عمله موافقاً لعلمه، وكان حكمة. وإن أهمل الأهم كان مخالفاً للعلم ولم يكن من الحكمة في شي(٢).

٢١ ـ معرفة الأشياء ووضعها في مواضعها. يقول الإمام الرازي أيضاً: من تعلم شيئاً ولا يعلم مصالحه ومفاسده لا يسمى حكيمًا، وإنما يكون مبخوتاً. ألا ترى أن من يلقي نفسه من مكان عال ووقع على موضع فانخسف به وظهر له كنز لا يقال: إنه حكيم؟ وإن ظهر لفعله مصلحة وخلو عن مفسدة، لعدم علمه به أولاً. ومن يعلم أن الإلقاء فيه إهلاك النفس ويلقي نفسه من ذلك المكان وتنكسر أعضاؤه لا يقال: إنه حكيم. وإن علم ما يكون في فعله(٣).

---

(١) هو من كلام علي كما في البخاري، والمرفوع: «أمرت أن اخاطب الناس على قدر عقولهم» وسنده ضعيف. انظر أسنى المطالب ص ٩٥.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٥ الطبعة الثانية.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٥.

٢٢ ـ تدارك الوقت وعدم تأجيل الأعمال: فقد قيل: من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذي ينبغي فليس بحكيم، فإن الأمور مرهونة بأوقاتها. ومن طلب الأمر الجسيم، فأمكنه ذلك فأغفله، فاته الأمر. وهو خليق أن لا تعود الفرصة ثانية. ومن وجد عدوه ضعيفاً ولم ينجز قتله ندم إذا، استقوى ولم يقدر عليه[١].

ويجب بذل الجهد للتحلي بأكبر قسط ممكن من العلم والأخلاق قبل أن يمر قطار العمر سريعاً.. وما أسرع مضي الوقت: تقول الحكماء: من لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها[٢]

٢٣ ـ عدم الإفراط أو التفريط في الحب والبغض: فقد ورد في الحديث: «أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»[٣]. وجاء في المثل:

« لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً»[٤].

ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: لا تكن في الإخاء مكثراً ثم تكون فيه مدبراً، فيعرف سرّك في الإكثار بجفائك في

---

(١) انظر كتاب: كليلة ودمنة ص ١٦٠.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ١ ص ١٤٨.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة. والطبراني، عن عمر وابن عمرو. والدارقطني، وابن عدي والبيهقي عن علي موقوفا، والبخاري في الأدب المفرد. انظر كشف الخفاء جـ ١ ص ٥٤.

(٤) مجمع الأمثال للميداني جـ ٢ ص ٢١٨ المثل رقم (٣٥٢٨).

الإدبار[1].

وقال النمر بن تولب:

أحبب حبيبك حباً رويداً ... فقد لا يعولك أن تصرما
وابغض بغيضك بغضاً رويداً ... إذا حاولت أن تحكما

أي: أن تصبح حكيمًا. والغرض من جميع هذا كله: النهي عن الإفراط في الحب والبغض والأمر بالاعتدال في المعنيين[2].

وأخرج الخرائطي عن الحسن: تنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس، وأحبوا هوناً، وابغضوا هوناً، فقد أفرط أقوام في حب أقوام فهلكوا، وإن رأيت دون أخيك ستراً فلا تكشفه[3].

وما أحسن ما أخرجه الرافعي! عن أبي إسحاق السبيعي من أنه قال: كان علي بن أبي طالب يذاكر أصحابه وجلساءه في حسن الأدب بقوله:

وكنْ معدناً للخير، واصفحْ عن الأذى
فإنكَ راءٍ ما عملتَ وسامعُ
وأحببْ إذا أحببَتَ حباً مقارباً
فإنكَ لا تدري متى أنتَ نازعُ

---

(١) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٢١٨.

(٢) مجمع الأمثال جـ ١ ص ٢٠٩.

(٣) كشف الخفا جـ ١ ص ٥٤ ـ ٥٥.

وأبـغضْ إذا بـغـضـتَ بـغـضـاً مـقـاربـاً
فـإنـكَ لا تـدري متـى الـحـبُّ راجـعُ[1]

٢٤ ـ أن يكون وسطاً في أموره مع من هو أعلى منه: قال بعض الحكماء: إياك ومفارقة الاعتدال، فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحد[2].

وفي كتاب التاج للجاحظ: يجب على الحكيم المميز أن يجهد بكل وسع طاقته أن يكون من الملك بالمنزلة بين المنزلتين، فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة واستقامة الحال وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة[3].

٢٥ ـ لا بد من معاركة الحياة والصبر على الشدائد والعبرة من التاريخ وأحوال الناس قال عليه الصلاة والسلام: «لا حكيم إلا ذو تجربة، ولا حليم إلا ذو عثرة»[4]. وفي حديث آخر: «إلا ذو عنرة»[5] والمعنى أنه لا يحصل له الحلم ويوصف به حتى يركب الأمور وتنخرق عليه، ويعثر فيها فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطأ فيتجنبها[6]. ويقال: سائل مجرباً ولا

---

(١) كشف الخفاجـ ١ ص ٥٥.
(٢) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص ٩٩.
(٣) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ص ١٤١ طبعة ١٩٧٠.
(٤) رواه ابن ماجه عن أبي سعيد. واخرجه أيضاً أحمد والترمذي وابن حبان. انظر كشف الخفاجة، ص ٤٧٦.
(٥) رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد انظر كشف الخفاجـ ٢ ص ٤٧٦.
(٦) كشف الخفاجـ جـ ٢ ص ٤٨٦ الهامش.

تسائل حكيماً[١]. ويقول الحارث بن حلزة اليشكري:

إن السعيد له في غيره عظة   وفي التجارب تحكيم ومعتبر[٢]

وقال ابن الزبير: مدح رجل قوماً فقال: أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فأحسنوا المقال، وشفعوه بالفعال[٣].

٢٦ - العلم والأدب والروية: فالأمور التي يختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة وفيها جماع كل ما في العالم وهي: الحكمة، والعفة، والعقل، والعدل. فالعلم والأدب والروية داخلة في باب الحكمة. والحلم والصبر والرفق والوقار داخلة في باب العقل. والحياء والكرم والصيانة والأنفة داخلة في باب العفة. والصدق والمراقبة والإحسان وحسن الخلقة داخلة في باب العدل[٤].

ويقال: من أراد أن يكون حكيماً فليكن عالماً[٥]. إذ لا حكمة بلا علم ومعرفة.. ويجب أن لا يكون هناك يأس في حياة الحكيم.. مهما تتالت عليه صنوف الامتحان والبلاء.. ذكر عن بكر بن عبد الله المزني أنه قال: ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق، فإن من أدام قرع

(١) كشف الخفاجـ ١ ص ٥٦٥.
(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ ٢ ص ٢٦٧.
(٧) البيان والتبيين للجاحظ جـ ٣ ص ٦٠٣ ومنهاج اليقين ص ٢٠٠ - ٢٠١.
(٤) انظر كتاب كليلة ودمنة ص ٢٧.
(٥) منبهات ابن حجر العسقلاني ص ٤٤.

الباب ولج[1].

٢٧ ـ وقوف المرء عند حده وعدم الغرور ولو بلغ من العلم شأواً عظيمًا:

قال قيصر لقس بن ساعدة: ما أفضل الأكل؟ قال: ترك الإكثار منه. فقال: فما أفضل الحكمة؟ قال: معرفة الإنسان قدره. قال: فما أفضل العقل؟ قال: وقوف الإنسان عند علمه[2].

٢٨ ـ تدبير شؤون المنزل، والشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى، وحسن تدبير شؤون الأولاد ومعاشرة الأهل بالمعروف... فالرجل الحكيم يعرف شؤون تدبير المنزل ونحو ذلك.. وما أعسرها على الجاهل!. أو ممن لا يصبر على معترك الحياة!.. إنه لا يصبر، بل يفشل في حياته الاجتماعية، ويبقى معقداً وناقمًا على الحياة والناس أجمعين..

٢٩ ـ التطبيق والالتزام بالقول: قال سفيان بن عيينة: ويلكم يا علماء السوء، لا تكونوا كالمنخل، يخرج الدقيق الطيب ويمر ويمسك النخالة. فكذلك أنتم، تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم. ويحكم، إن الذي يخوض النهر لا بد أن يصيب ثوبه الماء وإن جهد أن لا يصيبه. كذلك من يحب الدنيا، لا ينجو من الخطايا[3].

ويقول أبو الأسود الدؤلي في قصيدة طويلة:

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤٨.

(٢) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص ٥٦٧.

(٣) منهاج اليقين للأرزنجاني ص ١٨٩.

يا أيها الرجلُ المعلم غيرهُ
هلّا لنفسكَ كانَ ذا التعليمُ
تصفُ الدواء لذي السقام وذِي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيمُ
فابدأْ بِنفسكَ فانهها عن غيِّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناكَ تعذرُ إنْ وعظتَ ويقتدىٰ
بالقولِ منكَ ويقبلُ التعليمُ
لا تنهَ عَنْ خلقٍ وتأتي مثلهُ
عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ(١)

٣٠ ـ والداعية الحكيم يجب أن يتبع الأساليب الحكيمة في دعوته: يقول الله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة..»(٢).

وذلك كأن يجيب السائل بما يتناول سؤاله وغيره حتى يكون ما أجاب به قاعدة عامة، والإيجاز إذا اقتضى الحال، وإعطاء الوسائل صورة ما تفضي إليه، ومنها ضرب الأمثال وصوغ التشابيه التي تهدي إلى الحقيقة، كما تلزمه الآداب السامية. كأن يأخذ في دعوته بالرفق والحلم والثبات والصبر، وأن يتقدم إلى مدعويه بأجمل عبارات التلطف والمجاملة. وأن لا يواجه أحداً بعينه عندما يريد أن يؤدب امرءاً أو يزجره ما دام يجد في

(١) منهاج اليقين ص ٤٤
(٢) النحل: (١٢٥).

الموعظة العامة كفاية، وأن يتبع السياسة الحكيمة.. فقد كان صلى الله عليه وسلم: يتحرى بالموعظة أوقات الحاجة والفراغ والنشاط إلى استماعها، وكان يفعل الشيء في بعض الأحيان مسايرة لمن يعلم أنه يريد فعله، وقد يترك الأمر الذي لا ضرر فيه اتقاء للفتنة ويؤلف قلوباً بالمال، وقلوباً بالجاه ولطف الكلام، والعفو موضع الانتقام، والإحسان في مكان الإساءة، ويؤلف باللين وترك الشدة في موضع المؤاخذة، وبالصبر على الأذى واحتماله له من أعدائه، ومن سياسته الحكيمة، تألفه أصحابه بحسن المعاملة...[1].

---

(١) انظر بالتفصيل كتاب (هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة) للشيخ علي محفوظ ص ٣٠ ـ ٤٣ طبعة ١٣٧١ هـ.

كيف تتقبّل الحِكمَة ؟

ـ كانت الحكمة ـ وما تزال ـ منبعاً ثراً للعلماء وغير العلماء.. يستنبطون منها العظات والمبادىء والإرشادات.. فيزداد علمهم نوراً على نور. يطيلون فيها الفكر.. ويعملون فيها العقل.. ويستجلبون منها العطاءو الخير.. لهم وللناس كافة..

والمرء قد يتنغص في عيشه فلا يرتاح،ولو كانت الحياة سهلة وميسرة له.. لأنه بحاجة إلى ارتواء روحي يضفي على جنبات نفسه مناديل الحكمة المداوية؛ فتراه يفيق من اليأس والقنوط ويقبل على الحياة بروح جديدة وثابة وكأنه قد رمى بحمل ثقيل وراءه كان قد أرهق جسمه..

يقول بعض الحكماء: ثلاثة أشياء تفرّج الغصص: ذكر الله تعالى، ولقاء أوليائه، وكلام الحكماء..[1].

والحكمة نور يحيي القلوب المريضة كما تحيا الأرض بالغيث.. ولا ريب أن كل عليل يريد أن يشفى من علته ويبرأ من مرضه.. والحكمة في هذا خير دواء لعلل النفس

---

(١) انظر منبهات ابن حجر العسقلاني ص (٦).

وأهوائها، ومرض الروح وشقائها..

ويحدثنا الإمام الغزالي عن هذا الأمر فيقول:

إن ميلَ المرء إلى الحكمة، وحب الله تعالى ومعرفته، وعبادته، كالميل إلى الطعام والشراب، فإنه مقتضى طبع القلب، فإنه أمر رباني.. قال: وإنما غذاء القلب: الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل.. ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حلَّ به كما قد يحلُّ المرض بالمعدة، فلا تشتهي الطعام والشراب.. وهما سببان لحياتها[١]. ويقول حكيم:

قوت الأجساد: المشارب والمطاعم. وقوت العقل: الحكمة والعلم. وأفضل ما أوتي العبد في الدنيا: الحكمة، وفي الآخرة: الرحمة. والحكمة للأخلاق كالطب للأجساد. ويقول علي ـ كرم الله وجهه ـ: إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكمة[٢].

وليس كل من تقال عنده الحكمة يتقبلها.. بل ربما تهكم واستهتر الجاهل بكلام الحكيم العالم.. ولذلك فقد ورد: «لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ٥٩.

(٢) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص (٦).

(٣) رواه ابن عساكر، عن ابن عباس: أن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل فقال: يا معشر الحواريين، لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها فتظلموها، والأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فذروا علمه الى الله تعالى. انظر كشف الخفا جـ ٢ ص ٥٠٣ـ ٥٠٤.

وقال بعضهم: إن لكل شيء عند الله حقاً، وإن أعظم الحق عند الله حق الحكمة، فمن جعل الحكمة في غير أهلها طالبه الله بحقها. ومن طالبه الله بحق خُصم[1].

وقال الشاعر:

سأكتمُ علمي عن ذوي الجهل طاقتي
ولا أنشر الدرَّ النفَيسَ على البُهمْ
فإن قدَّر الله الكريمُ بلطفهِ
ولاقيتُ أهلاً للعلوم وللحكمْ
بذلتُ علومي واستفدتُ علومهمْ
وإلا فمخزونٌ لَديَّ ومكتمْ
فمنْ منحَ الجهالَ علماً أضاعهُ
ومنْ منعَ المستوجِبينَ فقد ظلمْ[2]

ولكي تتقبل النفس الحكمة فإن على المرء أن يبتعد عن الأمراض المنغصة للقلب.. فإن وجدت فيجب معالجتها وقلعها كما تعشب الأرض. ويجب الاستسلام لدواء الحكمة حتى تأخذ طريقها إلى النفس.. ذكر أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال لأصحابه: أين تنبت الحبة؟ قالوا: في الأرض. قال: كذلك الحكمة، لا تنبت إلا في القلب كالأرض[3].

وكان الشيخ مطر الباذرائي ـ من أجلِّ مشايخ العراق

---

(١) كشف الخفاء ٢ ص ٥٠٤.

(٢) إيقاظ الهمم لابن عجيبة ص ١٤٣.

(٣) انظر كتاب: إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ص ٣٣ الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ.

وسادات العارفين - يقول: الحكمة إصابة الحق. فإذا أوردت على القلب دلت على مكامن الهوى وجلت أصداء القلوب، وأماتت عيوب البواطن[1].

وكان الإمام الغزالي قد ذكر السبب في بعد الإنسان عن الحكمة وعدم تقبلها.. فعند بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب، ذكر من أبوابه العظيمة: (الشبع) وذكر أن من آفات الشبع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة[2].

وكان ذو النون المصري يقول: لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاماً[3].

.. هذا وإن الشراهة والإقبال الكلي على الشهوات بشكل عام، تفقد التفكير الجاد والعميق في المثاليات والأخلاق العالية التي على الإنسان أن يتخلق بها. إذ أنه يكون قد غطى سلوكه هذا منافذ النور في تقبلها للحكمة بالذنوب والخطايا.. يقول أبو المهاجر عمرو القيسي - رضي الله تعالى عنه - كما لا تنظر الأبصار الضعيفة إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة[4].. ذلك لأن حب الدنيا يعمي البصر والبصيرة.. فلا يرى ببصره إلا المادة الجرداء.. ولا يرى ببصيرته إلا اللذات والشهوات.. ومن ثم فلا يكون للحكم والمواعظ طريق إلى قلبه. قال بعض الحكماء:

---

(١) انظر الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص٤٨.
(٢) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ٣٣.
(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٧.
(٤) الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص ٤٦.

الدنيا أمثال تضربها الأيام للأنام. وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان، وبحب الدنيا صمت أسماع القلوب عن المواعظ، وما أحث السائق لو شعر الخلائف[1].

والقلب الذي فيه نزعة شر لا ينفذ إليه نور الحكمة.. أو كما يقول محمد بن كعب القرظي (المتوفى سنة ١١٧): لا تنزل الحكمة في قلب فيه عزم على المعصية[2]. ذلك لأن العصيان تمرد على الحق.. وشوكة في طريق الخير..

يقول عليه الصلاة والسلام: «ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرّون على ما فعلوا وهم يعلمون». وقد فسر أقماع القول بمن كانت أذناه كالقمع لما سمعَ من الحكمة والموعظة الحسنة، فإذا دخل شيء من ذلك في أذنه خرج من الأخرى،ولم ينتفع بشيء مما سمع[3].

وإن مثل هذا الشخص كمثل المريض الذي لا يسمع كلام الطبيب.. أو أنه يسمع ولا ينتصح به. وكان الشيخ أبو علي الحسين بن أحمد الكاتب - من كبار مشايخ المصريين - يقول: من سمع الحكمة فلم يعمل بها فهو منافق[4].

إن هذه الهبة الربانية الحكيمة - العقل - فيه القدرة على

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٨١.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص ٣٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ص ١٥٥ والحديث في مسند الإمام أحمد عن عبد الله ابن عمرو.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص ١١٢.

التمييز بين الخير والشر.. وهو السلاح ذو الحدين.. يستطيع المرء به أن يستخدمه للخير والصلاح، ويستطيع أن يستخدمه للشر والفساد. كان الشيخ مطر الباذرائي يقول:

أيدي العقول تمسك أعنة النفوس، والنفس مسخرة للعقل، والعقل يستمد من الأنوار الإلهية، وعنه تصدر الحكمة التي هي رأس العلوم، وميزان العدل ولسان الإيمان وعين البيان، وروضة الأرواح، ونور الأشباح، وميزان الحقائق، وأنس المستوحشين، ومتجر الراغبين، ومنية المشتاقين(١).

وبهذا العقل النير يستطيع أن يميز المرء بين الحكمة وغيرها التي قد يراد بها الباطل.. أو إذا كان قائلها غير سليم النية.. فقد روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال على المنبر: إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم. قالوا: كيف يكون المنافق عليمًا؟ قال: يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور. أو قال: المنكر(٢).

ويقول معاذ بن جبل: أحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم وإن المنافق قد يقول كلمة الحق. فقيل لمعاذ: ما يدريني أن الحكيم قد يقول كلمة الضلال وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال ما هذه؟ ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع. وتلقَّ الحق إن سمعته فإنه على الحق نور. وفي رواية: ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص ١٤٨.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٠٦.

تقول :ما أدري بهذه الكلمة. فهذا يدل على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه فيقبله، وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه(١).

ومن أدواء النفس التي تقف عائقاً أمام قبول الحكمة: التكبر، الذي يأنف صاحبه سماع الكلام الطيب لصلفه وغروره.. وقد خاطب أحدهم المتكبر بقوله: عجباً لك أيها المتكبر، ما أنت بنافع الحكم ولا بمراسم العبودية اقتديت، وفي جهلك وظلمك تماديت، فما أفلح الظالمون، وخاب كل جبار عنيد(٢).

فعلى المرء أن يفتح قلبه للنور ولو وجد صعوبة في ذلك.. وأن يستسلم للدواء ولو كان مراً.. وأن يعزز جنبات نفسه بجنود العزم والتصميم.. وأن يستهزأ بالشهوات والأهواء في سبيل إنقاذ نفسه من ظلمات الغي والفساد..

ولا شك أن مجالسة الحكماء والعلماء سبيل لكسر طغيان النفس القاسية.. فالأقوال الرشيدة النافذة تلين جوانبها حتى تدخل الصميم.. فإذا دخلته لم تفلته إن كان هناك نية وإخلاص في القبول.. كان لقمان يعظ ابنه فيقول:

يا بني،عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر.

يقول عليه الصلاة والسلام: «طوبى لمن تواضع في غير

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٣٩.

(٢) انظر هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص ٤٦١.

منقصة، وذلَّ في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مالٍ جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة. طوبى لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريرته وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شرّه. طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله»(١).

.. والحكيم يخرج من المجالس بزاد العلم والمعرفة.. ويكتسب منها خبرة العبرة والتجربة.. فيحدث بخير ما سمع.. ويترك شر ما يقال. ورد في الحديث الشريف: «مثل الذي يجلس فيسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا بشرِّ ما سمع، كمثل رجل أتى راعياً فقال: أجزرني شاة. فقال له: خذ خيرها شاة. فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم»(٢). قال العسكري: أراد به الحث على إظهار أحسن ما يسمع، والنهي عن الحديث بما يستقبح. وهو معنى قوله تعالى: ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾(٣).

وتُقْبَلُ الحكمة أنى كان مصدرها.. يقول عليه الصلاة والسلام: «الحكمة ضالة المؤمن»(٤) يعني: أن المؤمن يحرص على

---

(١) رواه البخاري في التاريخ، والبغوي، وابن قانع وغيرهم، ورمز السيوطي لحسنه، واعترضه المناوي فقال: وليس بحسن كما قال الذهبي. وقال في الإصابة: حديث سنده ضعيف. انظر كشف الخفا جـ ٢ ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) رواه أحمد، وابن ماجه، وابن منيع، والطيالسي، والبيهقي، والعسكري عن أبي هريرة رفعه، وسنده ضعيف. انظر كشف الخفا جـ ٢ ص ٢٥٩.

(٣) انظر كشف الخفا جـ ٢ ص ٢٥٩. والآية في سورة الزمر (١٨).

(٤) قال في المقاصد: رواه القضاعي في مسنده مرسلاً عن زيد بن أسلم رفعه =

جمع الحكم، من أين يجدها يأخذها.

ورواه العسكري أيضاً عن أنس ـ رفعه ـ بلفظ: خذوا الحكمة ممن سمعتموها، فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير رام[١].

وجاء في المثل: (كلام حكيم من جوف خرب)[٢].

وكان الشيخ محمد بن عبد الجبار النغري ـ من أهل القرن الرابع ـ يقول: التقطوا الحكمة من أفواه الغافلين عنها كما تلتقطونها من أفواه العابدين[٣].

ويقول علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: خذ الحكمة أنى أتتك، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها[٤].

والمؤمن البصير.. له في كل نظرة عبرة.. فيعتبر من كل شيء.. حتى من كلام السفهاء.. يقول بعضهم: كلام الحكمة لهو السفهاء، وكلام السفهاء عبرة الحكماء. يعني: أن السفهاء إذا سمعوا كلام الحكماء يستقرفون كلامهم، فيكون بمنزلة اللهو لهم. وأما الحكماء إذا سمعوا كلام السفهاء، فيرون قبح ذلك الكلام فيعتبرون به ويحترزون عن مثل ذلك.

= بزيادة: «حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه». ورواه الترمذي والقضاعي. انظر تتمة الكلام عن الحديث في كشف الخفا جـ ١ ص ٤٣٥.

(١) كشف الخفا جـ ١ ص ٤٣٥.

(٢) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ١٧٢.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ ص ٢٠١.

(٤) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٣٥٣.

الفصل الثاني

الخلاف في شخصيّة لقمان

موضع الخلاف وسببه:

كتب (يوسف الشاروني) مقالاً في مجلة العربي الكويتية عدد (٢٣٧) لعام ١٩٧٨ بعنوان: (لقمان وأمثالنا العربية). ذكر في هذا المقال الخلاف حول لقمان من شخصيات ثلاثة وهم: (لقمان الجاهلي) و (لقمان الكتابي) و (لقمان المولد). فهل هو شخصية واحدة تطورت حكمه وأمثاله في كل عصر حسب بيئته، وعرف بعد ذلك في التراث مميزا في كل عصر بهذه الحكم والأمثال؟ أم أنه فعلا وجد في كل عصر من تلك العصور المذكورة لقمان؟.

ونورد لك المقال موجزاً مختصراً.. قال:

يرى الدكتور (عبد المجيد عابدين) في كتابه (الأمثال) أن هذه الشخصية سايرت تطورها المثل العربي في مراحله الثلاث:

المرحلة الجاهلية: والأمثال فيها في صورتها المضطربة البسيطة المرسلة على السجية النابعة من صميم البيئة إلى أن ضعف النفوذ العربي في أواخر القرن الأول الهجري.

ثم المرحلة الكتابية: وفيها دخل التأنق على الأمثال وهذبتها

الصنعة وظهرت عليهاآثار التأمل البعيد. . وهو يمثل خطاً واضحاً تبدأ بواكيره في الجاهلية ثم يزدهر بظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم.

وأخيراً المرحلة المولدة: وتبدأ حيث يضعف النفوذ العربي، وتطغى موجات أجنبية لا سيما آرامية على العالم الإسلامي، فتغير من أساليب الحياة والتفكير والتعبير جميعاً. ويأخذ المثل العربي القديم في الانحلال ويحل محله أمثال مولدة، وذلك منذ القرن الثاني للهجرة.

وآثار لقمان في كل مرحلة من هذه المراحل تتميز عن الأخرى في وضوح وجلاء، الأمر الذي حدا بالمفسرين إلى اعتبار لقمان الجاهلي غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن. وجعل بعض الفرنجة يعدون لقمان علمًا على شخصين أو ثلاثة. وقد رأى (برنارد هيللر) في دائرة المعارف الإسلامية أن قصة لقمان مرت بثلاث خطوات رئيسية: أولاهما لقمان في الجاهلية، تليها لقمان القرآني وتنتهي بلقمان صانع الخرافة، وهو الذي ظهر بعد عصر القرآن.

١ ـ لقمان الجاهلي: أما لقمان الجاهلي، فقد اختلف النسابون في نسبه. فقيل: هو لقمان بن عاد، وابنه (لقيم) وابنته (صحر) وزوجته (براقش). ويبدو أن هذا هو أقدم ما انتهى إلينا من نسب لقمان. أما ما ذكر من أنساب أخرى فلعلها جاءت متأخرة، وكانت محاولات للتوفيق بين لقمان وشخصيات أخرى وردت في الكتب والأخبار القديمة. ولقمان الجاهلي يمثل ـ فيما يروى عنه ـ البطل الأسطوري. فهو عملاق

هائل، له جسم ضخم ورأس عظيم يضرب به المثل. وهو شديد البنية، يضرب بشدتها المثل فيقال: (أشد من لقمان العادي)[1]. وله بصر حاد خارق للعادة، حتى أنهم جعلوا زرقاء اليمامة من بناته.

وهو فوق ذلك يجيد الرماية بالسهام والنبال إلى حد خارق للعادة، ثم هو أكول يتغذى بجزور ويدور عدد من قصصه حول الطعام وأكله، حتى قيل في المثل: (آكل من لقمان).

ويفترض الدكتور (عابدين) أن هناك صلة بين أصل تسمية لقمان وما نسب إليه من كثرة الأكل، بمعنى أن لقمان قد يكون مشتقاً من: لقم يلقم، إذا أسرع في الأكل. فلقمان معناها: السريع في الأكل. ثم هو طويل العمر جداً، بلغ خمسمائة وستين سنة. وهو في الدرجة الثانية من المعمرين بعد الخضر كما يقول السجستاني في (كتاب المعمرين من العرب) ثم زاد هذا الرقم في قصص مختلفة فبلغ ألف سنة، وثلاثة آلاف سنة، وثلاثة آلاف وخمسمائة سنة! وهو ميال إلى البناء وإنشاء المدن. وفي أخبار لقمان أنه بنى سد مأرب. وإذا نظرنا في قصص لقمان لاحظنا ترديداً ملحاً للعلاقة بين الرجل والمرأة، وهذه القصص في مجموعها تدلنا على أن المرأة في نظره لا تخلص لرجلها.. وقد تزوج عدة نساء كلهن خنّه في أنفسهن.

هذا وإن نشأة مثل هذه الشخصية في مثل هذا الزمن السحيق والتفاف القوميات المختلفة حول هذه الشخصية على مرِّ العصور، والاعتماد على الرواية الشفوية في كثير من

---

(١) نسبة إلى عاد.

الأحيان، كل ذلك عرض هذه الشخصية لكثير من التطور العميق.

وقيل: إن عاداً لما ارتكبت الخطيئة - وهي إهانتهم لنبيهم هود - عليه السلام - حين دعاهم إلى الله، فحمل عليه رجل من سفهائهم بحجر فأدمى كعبه، دعا عليهم أن يبتليهم الله بالقحط، ويحبس عنهم المطر، وابتلاهم بالقحط حتى أرهقهم ذلك. فأجمعوا على إيفاد وفد إلى بيت الله الحرام بمكة يستسقي الغيث، وأعدوا من عظمائهم وأشرافهم سبعين رجلاً، ثم وضعوا على السبعين (قيل بن عنز) وهو رأسهم وصاحب أمرهم. و (لقمان بن عاد) وآخرين..

وفي مكة يكرمهم مضيفهم مدة شهر.. وأحسن وفادتهم حتى نسوا أنفسهم. ومضيفهم - معاوية بن بكر - فحرج أن ينبههم إلى ما جاؤوا من أجله حيث أنهم ضيوف عليه. حتى احتال على ذلك بغناء وضعه على لسان جاريتيه، فتذكروا مهمتهم، فقام فيهم خطيب يدعوهم إلى الإيمان بنبيهم هود - عليه السلام - وبربهم، فكرهوا قوله وردوا النصيحة، وحين همَّ الوفد بالسير إلى الكعبة سألوا مضيفهم أن يحبس ذلك الخطيب، فاستجاب لهم وامتنع لقمان بن عاد معه..

ويهلك الله قوم عاد، ويبقى من الأحياء ذلك الخطيب، واسمه أبو سعيد المؤمن.. ولقمان بن عاد.

٢ - لقمان الكتابي: وقبيل الإسلام اشتهر لقمان بالحكمة الكتابية، بعد أن كان صانع أمثال شعبية.. وكان كعب الأحبار ووهب بن منبه؛ وهما من اليهود الذين أسلموا، يذيعان

عدداً من أخبار لقمان. وزعم الرواة أن عرب الجاهلية كانت عندهم (مجلة لقمان) وفيها الحكم والعلم والأمثلة، وأن جماعة منهم قد قرؤوها وامتلكوها، وذكروا من جملتهم (سويد بن الصامت) الذي رووا أنه كان يقرؤها وأنه أخبر الرسول بها لما قدم عليه. وذكر الدكتور (عابدين) أننا لا نعرف شيئاً مما احتوته تلك المجلة. (أقول: بل نقلت حكم كثيرة منها وستمر معك إن شاء الله).

وقد فرق الجاحظ أيضاً بين لقمان عاد ولقمان القرآني.. قال تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة». بينما يربط بعض الباحثين بين لقمان القرآني و(أحيقار) وزير (سنحريب) ملك آشور. وكان مشهوراً بحكمته.

ويرى (رندل هاريس) أن هناك تشابهاً بين لقمان و(أحيقار) من حيث أن كلاً منهما يحمل لقب الحكيم ويعظ ابنه مستخدماً لفظ: يا بني.

ومنهم من ظن أنه (باعوراء) المذكور في التوراة (سفر يشوع آية ١٣). الذي كان عرافاً زمن موسى.

وذكر أن لقمان هذا هو ابن أخت أيوب. وقيل: إنه من زمن (داود عليه السلام، واسم ابنه (ناران) وأنه ابن باعوراء بن ناحور بن تارح.

٣ ـ لقمان المولد: أما لقمان المولد فهو صورة جديدة من لقمان لم تعرف من قبل؛ فهو هنا عبد حبشي كان رجلاً من بني إسرائيل، له شفتان عظيمتان، وذكر أنه ولد على عشر سنين من ملك داود، وكان عبداً صالحاً منَّ الله عليه

بالحكمة، ولم يزل باقياً أيام يونس بن متى حين أرسل إلى أرض (نينوى) في بلاد الموصل.

وفي هذا الدور تنسب الى لقمان طائفة من الخرافات. فيطلع الناس لأول مرة في الأدب الفرنسي على كتاب لأمثال لقمان، يرجع تاريخ تدوينه إلى نهاية القرن السابع الهجري، ظهرت فيه نسخة خطية في باريس، وطبعت عدة مرات، ولقيت عناية من الباحثين الغربيين: والكتاب في صيغته ومادته غريب عن المثل العربي القديم، ولم يشر إلى شيء مما يتصل بمضمونه أحد من العرب السابقين. وقد لاحظ (برناردهللر)أن الحيوان الذي كان يستوطن بلاد العرب ويكثر فيها، كالنعامة والضبع والثعلب والجمل لا وجود لها في هذه الخرافات، كما نبه إلى ركاكة الأسلوب وكثرة الأخطاء النحوية والصرفية.

وهناك من يرى أن هذه الخرافات المنسوبة إلى لقمان هي مجموعة من خرافات (إيسوب) نقلت إلى العربية..

وأمثال لقمان المطبوعة إحدى وأربعون خرافة.. معظمها حيواني. ١هـ.

المهم في الأمر :

لقد رأيت معي الاختلاف على لقمان.. ولا شك أنك تلمس أن هناك شخصاً اسمه لقمان، ويطمئن قلبك عندما يذكر اسمه في القرآن الكريم، وتعلم أنه كان رجلاً حكيمًا، بل من أبرز الحكماء.. وأنه كتب لاسمه ولحكمه الخلود، رغم العصور المتتالية.. وإن من حكمه ما ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز..

إلا أن الخلاف في شخصيته ومهنته وآثاره ومن عاصر.. وهو الذي يجعلنا نتوقف قليلاً، لكي نطمئن إلى أقواله وصحة ما يقال أو ينقل عنه.. وهذه ملاحظات عامة على الموضوع:

١ - إن هناك خلافاً حول لقمان من جهات:

أ - هل كل هذه الحكم والأقوال والأمثال المسندة إلى لقمان صادرة عن رجل واحد اسمه لقمان؟

ب - أم أن هناك أشخاصاً آخرين مثله نقلت أقوالهم وأمثالهم؟

جـ - أم أن الحكم والأمثال طورتها الأقلام حسب بيئتها فغدت مميزة عن بعضها.. وكأن لكل عصر (لقمانه)؟.

د - أم أنه حيكت حوله أساطير وخرافات بحيث غدت بعيدة عن شخصيته؟

٢ - لا وثوق بالمصادر القديمة التي طرأ عليها التبديل والتغيير، فتكون:

أ - الأخبار التي تذكر في التوراة والإنجيل إذا خالفت القرآن الكريم فهي زور وبهتان، وإذا كانت أخباراً أخرى لم يتطرق إليها القرآن إثباتاً أو نفياً، وكانت تاريخية (كالإسرائيليات)، فلا نصدق ولا نكذب، وإنما نقول: آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم.. حيث لا يؤمن جانب التغيير من قبل محرفيها.. فمن كذب على الله ورسوله لا يؤمن أن يكذب في الأخبار والأمور الجانبية. وبالمقابل فلا غرابة أن تبقى هناك أخبار لا تمس عقيدة اليهود والنصارى سالمة كما وردت..

ب ـ تساق الإسرائيليات ـ عندنا ـ وكذلك القصص والأخبار المجهولة المصادر للعبرة والاستئناس لا للاعتقاد والتصديق. .

جـ ـ الأخبار والاستنتاجات التي تأتينا من الغرب ومن كتابها المعتنين بالدراسات الإسلامية لا ثقة بها إلا إذا كانت من مصادرها الأصلية المأخوذة من كتبنا بسند صحيح. وكذلك استنتاجاتهم. . لا تؤخذ إلا من عدل مؤمن بالله واليوم الآخر. .

د ـ ما ذكر عن لقمان ينطبق عليه ما ذكر من الملاحظات.

الخطة الموضوعة للبحث :

لقد اعتمدت على المصادر الإسلامية أثناء البحث عن حياة لقمان وأمره. . وهي الكتب التاريخية والتفاسير. . وكلها عندما تذكر لقمان ـ عند الإطلاق ـ إنما تعني لقمان الحكيم الذي ذكره الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه العزيز. . فاذا تطرق بعضها إلى لقمان آخر غير هذا فلا علاقة لهذا البحث به. . .

وإن غرضي من هذا البحث هو أن يكون موضوعاً إسلامياً يستفيد منه الشاب والعالم، والغني والفقير، والرجل والمرأة، والسليم والمريض والمغرور والمتواضع، والشقي والسعيد، والمسلم والكافر. فكم من حكمة أهدت للمرء سبيلاً مستقيمة في الحياة. .

ولكن أنى لنا أن نعلم أن لقمان الذي ذكره علماؤنا هو نفسه الذي ورد ذكره في القرآن؟.

ولكي نجيب على ذلك، نبحث أولاً في حياته، وثانياً في حكمه. .

(١) أما عن حياته فسننقل الأخبار التي وردت في هذا المضمار، ونبين درجتها من الصحة ـ إن توفرت ـ فإذا اختلط الأمر ولم تتبين للمرء جليته، فليس المهم فيه أن تعرف هل كان نجاراً أم راعياً؟ وليس من الضروري أن تعرف أي نبي عاصر؟ كما أنه لا يضرنا شيء إذا لم نعرف نسبه، ومعنى اسمه أو تاريخ حياته. . إنما نريد المغزى من الموضوع كله. . أن نأخذ من الأزهار رحيقها. . ومن الهواء نقيه. . ومن الطب فائدته. . وعن هذا الرجل علمه وحكمته، وما قدمه للإنسانية من أقوال وأمثال. . كانت منبع خير ورشد على كرِّ العصور. .

. . والخلاف منحصر في لقمان (الجاهلي) ولقمان (الكتابي). .

أما ما ذكر عن لقمان (المولد) أو (المبتكر) أو (المتخيل). . الخ فلا علاقة لنا به. . ولا لما ذكر على لسانه من حكايات وأساطير حيوانية وغير حيوانية. . فهي ابتكارات بعض المستشرقين أو غيرهم ممن لا علاقة لتاريخ الإسلام بها من شيء. .

والعجيب في الأمر هو هذا الخلط بين ما ذكر أو حكي على لسانه عمداً، وبين ذكر صفاته وبعض أحواله المشابهة لما ذكرته الكتب والمصادر الإسلامية. .

فإن كان ما ذكر من أنه ـ لقمان المولد ـ كان عبداً حبشياً وله شفتان عظيمتان، وكان أيام داود، وكان رجلاً صالحاً، وبعد ذلك يقال: إنه قائل هذه الأمثال الغريبة، أو الإحدى

والأربعين خرافة، معظمها **حيواني**، فإنه خلط في الأمر له هدف آخر. . فكتاب (أمثال لقمان).

أ ـ ظهر أول ما ظهر في فرنسا!!

ب ـ طبع عدة مرات!

جـ ـ لقي عناية من الباحثين الغربيين!.

وأعتقد أن هذا أسلوب ماكر خبيث من بعض المستشرقين ليخلطوا الحق بالباطل، ويشوهوا قصص القرآن. . فلقمان مذكور في القرآن الكريم موصوفاً بالحكمة، فضلاً من الله تعالى عليه. . وأفضل طريقة لتشويه سيرته ـ دون أن يلفت النظر ـ هو ذكر حكايات خرافية على لسانه. . ودون أن ينبه إلى أنه اسم مستعار، ليكون هذا بداية لشيء آخر يريدون الوصول إليه، وهو عزو القصص القرآني إلى الأوهام والأساطير. . وذلك بقصد زعزعة الثقة في نفوس النشء، من الإيمان بسماوية هذا الكتاب والنيل من قدسيته. . ومن جهة أخرى لنشر الخرافات عن الإسلام في البلاد التي لا تدين به، بتشويه صورته في أذهانهم، خوفاً من اعتناقه، وكما فعلوا في كتاب (معراج ابن عباس) والمشحون بالكثير مما لم يرد في الحديث المنسوب إليه أصلاً. .[1] حيث قاموا بالتنويه به والرفع من شأنه لإظهار الإسلام في صورة دين مليء بالخرافات والأساطير. .

«يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره

---

(١) انظر كتاب فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الخامسة ص ١٥٥.

الكافرون»[1].

(٢) ـ أما من حيث حكمه فربما تساءل المرء أيضاً: وما يدرينا أن هذه الحكم هي من أقواله وليست منسوبة إليه؟.

والجواب على هذا: أن نقبل على هذه الحكم بروح المتعلم البصير الظامىء إلى العلم، والباحث عن الحكمة التي تشبع روحه وقلبه.. وهي ضالة المؤمن الذي أنى وجدها فهو أحق بها..

وإن الواحد منا إذا قرأ هذه الحكم أو سمعها، يشعر بواقعيتها ونفاستها، وأنها خلاصة تجارب عديدة وسنوات مديدة.. من رجل عركته الحياة فذاق حلوها ومرها وفرحها وترحها، لذلك فهو يطمئن إليها ويثق بها ويبحث عنها ويتطلع إلى المزيد منها.. لما تشيع في نفسه وروحه وقلبه من الإعجاب والرضى والقبول..

وتبقى هناك ملاحظات:

١ ـ نذكر الحكم التي ورد عن لقمان بشكل صحيح ونشير إلى مصادرها. ويكفي من حكمه كلها ما سجله القرآن الكريم.. ففيها من العبر والعظات ما يجلوا الصدأ عن القلوب، والقلق عن النفوس، ويملأ جوانبها خيراً وبراً وفضلاً، وسنتناولها بشرح مسهب إن شاء الله تعالى..

٢ ـ أما الحكم الأخرى المبثوثة والمتفرقة هنا وهناك والتي تذكر دون أي سند فسنكتبها للعبرة والعظة.. وجمعاً لما تفرق من الحكم التي يحتاج لها المرء على اختلاف المتطلبات..

---

(١) الصف: (٨).

٣ ـ يجب ألا تخرج هذه الحكم عن نطاق العقيدة الإسلامية.. لأن الله تعالى قد أثنى على لقمان، وذكر ـ سبحانه ـ أنه منَّ عليه بالحكمة.. فما رأيناه صحيحاً منها وضعناه دون تعليق، وما وجدنا فيه غير ذلك نبهنا عليه، ليكون المرء على حذر، ويتلقى كل كلمة بميزان الشريعة..

٤ ـ نحن لا نؤكد بعد هذا، أن هذه الحكم كلها هي للقمان الحكيم (القرآني) بل نقول: إنه ربما كانت بعضها له والبعض الآخر وضعت على اسمه، أو وجدت حكم أخرى محكمة المعنى لم يعرف لها صاحب فألصقت به.. والذي يهمنا كما ذكرنا.. العبرة والعظة لا غير..

الفصل الثالث

لقمان الحكيم

لقمان شخصية حقيقية

يتردد اسم لقمان كثيرا على ألسنة الناس، واذا ذكر اسمه فإنه يقترن بالحكمة.. وهذا يدل على شخصيته القوية. ووجوده في واقع الحال في وقت ما، فرض نفسه على الناس بالاحترام، وأقواله بالقبول والاستحسان، ويكفينا نحن في إثباته أن القرآن الكريم قد ذكره وبين حقيقة وجوده ببيان اسمه وإنعام الله عليه بالحكمة والمعرفة.. وذكر بعض حكمه لابنه..

ولا يتم إثبات شخصية تاريخية إلا اعتماداً على مصادر موثوقة، تظهر المكنون، وتوضح حقيقة الأمر..

وليس هناك مصدر تاريخي عالمي أوثق من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. والذي سجل أخباراً تاريخية قديمة جداً، فيها العلم والمعرفة..

وإذا كان القرآن لم يحدد أحوال هذه الشخصية بدقة، ولم يبين الزمان الذي عاش فيه، والمكان الذي وجد فيه.. فلأن الهدف من وراء هذه الأخبار العظة والدرس، والثبات على المبدأ.. وليس الوقوف على أخبار فرعية لا تهم كثيراً..

إن إثبات شخصية لقمان هي كإثبات أي شخصية أخرى ذكرها القرآن الكريم من الأنبياء أو الصالحين.. كما أنه قد ورد ذكر اسمه في أحاديث البخاري ومسلم الصحيحة، وغيرها من الأحاديث التي ستمر معك إن شاء الله تعالى..

إننا نبحث في شخصية لقمان.. ويكفي في إثباته ورود ذكره في القرآن كما ذكرت قبل قليل، ومعلوم أن من أنكر شيئاً ثبت بالقرآن فهو كافر أو مرتد..

ولم نكن بحاجة إلى هذا القول وكتابة البدهيات التي يسلم بها كل مسلم لولا أن الأعداء يتربصون بالإسلام وكتابه الخالد من كل حدب وصوب.. فهم لا يفتأون يشككون المسلمين بدينهم ونبيهم وكتابهم حتى يزعزعوا إيمانهم وبذلك يقضوا على مصدر القوة عندهم..

لم نكن بحاجة إلى هذا القول لولا أني قرأت لبعض المستشرقين ومقلديهم من ذيولهم، الذين يعتبرون لقمان شخصية أسطورية!!

نعم.. هكذا ينكرون الحقائق بأقوالهم النكراء ويكتبون تاريخ المسلمين ليملوا عليهم أفكارهم ومبادئهم التي تقطر في ثنايا كتاباتهم سمًا زعافاً فيه هلاكهم ودمارهم.. كل ذلك باسم العلم والحقيقة والموضوعية!.

وسأذكر لك القصة من أولها..

عندما بدأت بالكتابة عن لقمان ـ الذي لم أسمع أنه ألف فيه ـ قديماً أو حديثاً ـ أخذت أبحث عن مراجع.. وما كان أمامي إلا المصادر الإسلامية من تاريخ وتفسير..

وللزيادة فقد أحببت أن أنظر في الكتب الأدبية التاريخية التي تعد من روافد التاريخ الإسلامي.. ومن ثم ما كتبت عنه المجلات..

وقرأت مقالة (الشاروني) في مجلة العربي كما لخصتها للقارىء.. وفيها أنه قد ألف كتاب في (أمثال لقمان).. وهي قصص كلها خرافية!.. وقد ذكر في هذا الكتاب من صفة لقمان كما ذكرها مؤرخونا المسلمون.. ومن ثم فقد أخذوا يختلقون أساطير على اسمه..

وعندما رأوا بأنه لم يؤلف عن لقمان شيء.. وأنه شخصية مجهولة لدى المسلمين أرادوا أن ينالوا من هذه الشخصية القرآنية الحكيمة، بإضافة أشياء غير حقيقية إليه.. وخاصة أنهم يعلمون بأن له حكمًا كثيرة غير مدونة في كتاب خاص.. بل إنها مبعثرة هنا وهناك.. وسمعوا وهب بن منبه يقول: قرأت من حكمة لقمان أرجح من عشرة آلاف باب[1].

وعندما لم يروا إلا بضع عشرة حكمة، وبعضاً من أخباره المتناثرة، وشيئاً من قصصه البارزة، زادوا فيها كما أملت عليهم ضمائرهم.. ولكي يزيدوا الثقة بهذا الكتاب، فقد ذكروا في مقدمته كلاماً يقرِّب ما كتبوه إلى زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففيه (أن جماعة منهم كانوا قد قرؤوها ـ أي: مجلة لقمان ـ وامتلكوها؛ ذكروا من جملتهم سويد بن الصامت. وقد رووا أنه كان يقرأها وأنه أخبر الرسول بها لما قدم عليه)[2].

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦١ والبحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦.

(٢) انظر هذا كما نقله صاحب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) جـ ١ ص ٣١٨.

فعندما ذكروا هذا، وكتبوا ما كتبوا، كأنهم أشاروا بأن ما نقلوه هو من ذلك التاريخ، وأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يعلق شيئاً على ما ذكره (سويد).. وغدا وكأنه إقرار منه على ما قال..

.. وإلى هنا انتهت مهمة التأليف في المرحلة الأولى.

أما المرحلة التالية، فقد بدأت بعد سنوات طويلة.. وبعد أن تناقلها الغربيون.. وبعد أن أصبح هذا الكتاب مرجعاً تاريخياً ينقل منه، لأنه لا يوجد كتاب مثله.. وكذلك بعد أن ترجم إلى العربية لتعشش هذه القصص في العقول، ويتناقلها الناس.. دون أن يعرفوا الحق من الباطل.. وعمن كتب هذا.. وما مدى صحته..

ويقع في هذا الفخ بعضهم، سهواً أو عمداً..

ويصدق ذلك أحدهم ويردد كلمات يريد فيها أن يبرهن للقارىء أن هذه الأمثال الخرافية هي فعلاً للقمان.. قال:

(.. عرفت قصص لقمان وعرفت أنه قد فتح الله عليه بالأمثال على لسان الحيوان...

ذكر الله لقمان، وذكر أنه آتاه الحكمة. فأي حكمة؟ هي حكمة الأمثال على ألسنة الحيوان. وإلام ترمي تلك الأمثال؟ ترمي للأخلاق، للمعاشرة، للسياسة، لنظام الدولة، للجد، للاجتهاد، لطلب العلم، للاحتراس من الماكرين؟ وهكذا. ذلك ما ترمي إليه تلك الأمثال. قال:

إذن القرآن يحضنا على حكمة لقمان، وهو ـ كما عرفت ـ مجهول الأصل، مجهول الحال. فسبحانك اللهم. أنزلت

الحكمة على قلب لقمان وألهمته أمثال الحيوانات لتعلمنا السير في الحياة!! وقال:

بهذه يوصي الله الأمة الإسلامية قائلاً: [آتيت لقمان الحكمة، والحكمة مستخرجة من المخلوقات التي أمامكم] فالدنيا كأنها لوح، وصور الحيوانات حروف وكلمات، ولا يعلم ذلك إلا الحكماء.. قال:

وحسن بك إذا قرأت في أمثال (لقمان) حكاية الغراب والثعلب..

أو قرأت حكاية الكلب والذئب.. أو حكاية الطاووس إذ أراد تقليد البلبل في صوته.. هذه بعض الحكايات التي نقلت عن لقمان عليه السلام[1]!!

وينقل الكاتب بعض الحكايات التي نظمها بعضهم شعراً ويمتعنا بعشر مواعظ أخرى للقمان! لتكون تفكهة للقارئين، وموعظة للمؤمنين...

وسأنقل للقارىء واحدة من هذه (المواعظ):

(الحكمة الرابعة: في الضفادع وزواج الشمس)!!

سمعت عن لقمان أنه حكى   وبالذي رواه قد تمسكا
وقال: إن الشمس يوماً قالت: نفسي إلى حب الزواج مالت
فخرجت تشكو لها الضفادع   وهي تقول: كيف بعد نصنع
أما إذا مازوجوك أهلك   ثم دنا في الجو منك بعلك
لا بد من أن تلدي شموسا   وتحرقي الضفدع والجاموسا

(١) انظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري جـ ١٥ ص ١٣٤ فما بعد، الطبعة الثانية (١٣٥٥) هـ.

إنك في جو السما وحيدة وعن بحار أرضنا بعيدة
ومع هذا فاللظى لا يخفى فكيف ذا لو تلدين ألفا
تنشفين البحر والأنهارا وتحرقين الليل والنهارا
أسألك اللهم لا تقدر وأنت يا لقمان لا تنفر
فالشمس كالظالم إن تزوجا أنتج ألفاً مثله وأخرجا[1]

وإذا ما رأى الكاتب أن بعض الأمثال خالفت أمور الدين أفتى لها بقوله: هذا ضرب مثل!! والأمثال تراد غاياتها لا ما نطق به منها.

كما في (حكاية الصياد والطائرة)[2]. عندما حرم فيها صيد الحيوانات!

والملاحظ أن الكاتب أفاض في هذا الموضوع، وركز على هذه (الأمثال) أكثر من أي موضوع آخر يتعلق بالبحث..

فهلا نقلَ الكاتب بعض الحكم التي ذكرها السلف الصالح، والتي درج على نقلها المفسرون العظماء، وتركَ هذه الأحبولة يقع فيها أصحابها..؟

كان الأولى به أن ينبه القارىء أن هذه الأمثال غريبة.. ولم ينقل واحد من سلفنا واحدة من تلك الأمثال.. وخاصة أنه بصدد تفسير كتاب الله عز وجل..

* * *

وينال ذلك الكتاب اهتمام الباحثين الغربيين!

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم جـ ١٥ ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٢) الجواهر جـ ١٥ ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

لماذا؟ وهل حدث مكروه؟ وما الذي أحدثه لقمان من انقلاب في عقولهم وحياتهم.. وما الكتاب إلا عبارة عن قصص خرافية..؟!!

إذن فإن الأمر قد خطط له مسبقاً.. ليقول فيه بعد ذلك أناس آخرون أشياء أخرى.

وإن من يرد على مؤلفي هذا الكتاب بأن هذه القصص والأساطير لم يكن للقمان فيها يد، ويقيم الحجج والبراهين على ذلك - كما فعل مصنف دائرة المعارف الإسلامية - يتعب نفسه كثيراً دونما فائدة..

إنه مخطىء من يظن أن هؤلاء المؤلفين أرادوا أن يسرقوا من البستان.. بل إنني أقول: إنهم أرادوا أن يقتلوا (الناطور)..

أي: أنهم عندما كتبوا عن لقمان الأساطير، وألصقوا به الخرافات البعيدة عن الواقع، أرادوا بعدها أن يقولوا: إن لقمان أيضاً هو أسطورة.. أو أنه قد أضحى أسطورة!!

وكان قولهم هذا متوقعاً عندما نال ذلك الكتاب (اهتمام الباحثين الغربيين)! رغم أنه كتاب صغير الحجم.. وقد ألف منذ سبعة قرون..

وتتحالف العداوة والضمائر الفاسدة، بأقلام الخبث والمكر.. فتهرع إلى الكتابة.. وإلى تدوين آرائهم مستندين إلى مرجعهم الأساسي في هذا: (أمثال لقمان)!!

فيكتب (فيليب حتى) وزميلاه (أدورد جرجي) و (جبرائيل جبور) في تاريخ العرب أنه من رجال الأساطير[1]!!

---

(١) تاريخ العرب جـ ١ ص ٧٢ طبعة ١٩٥٨.

وكذلك يفعل زميلهم في المهنة (الأب لويس معلوف) في المنجد. .

والأعجب أن مصنفي (الموسوعة العربية الميسرة) ذكروا أنه ورد اسمه في القرآن، وذكروا ما أسند إليه من الحكم في القرآن. . ومع هذا فقد قالوا بأنه. . قد أضحى أسطورة. . !.

. . لقد آلى الغربيون على أنفسهم أن يشوهوا الحقائق طالما كان مصدره الإسلام. . وأن يغيروا ويبدلوا ويحرفوا. . حتى تتصف كتاباتهم بالموضوعية والعلمية، كما يدعي أذيالهم ومقلدوهم في بلادنا. .

أليس عجيباً بعد هذا أن نلتفت إلى ما كتبوه وفيها الكذب والدجل ونترك كتبنا التاريخية. . وفيها خزائتنا العلمية. . وفيها تاريخنا وأدبنا صحيحاً سليمًا. . أليس من الحمق أن نتداعى على موائدهم الملغومة، وندع مراجعتنا التي تشع حجة وبرهاناً؟!.

. . لقد ذكرت في كتابي الأول: (الخضر عليه السلام) أن الواجب يحتم علينا أن لا ندع صغيرة ولا كبيرة إلا ونبينها، وذلك قبل أن تتناولها يد آثمة. . فتحرف وتبدل كيفما تشاء. .

وها قد تحقق ذلك في شخصية قرآنية. .

. . وكم كنت أجد تثبيطاً من بعض المسلمين عندما كنت أبدأ بكتابة هذه السلسلة. . فيقولون: إنها شخصيات قديمة ولا داعي للحديث أو البحث والكتابة عنهم. . وإنما نحن بحاجة إلى أشياء عصرية جديدة. . الخ.

وغاب عن ذهن هؤلاء أن الذي يتعرض لقطع شجرة

راسية سيواجه عملاً مرهقاً لا يجني من ورائه فائدة. . ولكنه إن بدأ بقطع الفروع والجذور الجانبية فإنه يضعف الشجرة ويوهنها. . وما الفروع بالنسبة للأصل. . إلا كالخوافي ـ في الطير ـ من القوادم. .

بل علينا أن نكتب عن القديم والجديد سواء. . وإذا أردنا أن نتقدم خطوة. . فعلينا أن ننظر خطوتين وراءنا حتى لا نقع في أخطاء وقع فيها غيرنا. .

ولو لم يكن لهذه الشخصيات من تأثير أو عبرة، لما ذكرها الله تعالى في كتابه العظيم. . الذي هو القول الفصل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

* * *

أما الخلاف في شأن لقمان. . وهل لقمان الحكيم هو لقمان بن عاد أم لا؟. . فإن الباحث يتلمس الفرق بين الشخصيتين بسهولة تامة، وذلك بأمرين: الأمر الأول: من الناحية التاريخية، والأمر الثاني: بالمقارنة.

١ ـ أما من الناحية التاريخية، فإن لقمان بن عاد كان من قوم عاد، الذين بعث الله تعالى إليهم هوداً عليه السلام وهو قبل إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. .

وقد قيل في نسبه: إنه لقمان بن عاديا بن لجين بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح[1].

(١) انظر كتاب (مجمع الأمثال) لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني جـ١ ص ٤٢٩ الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ.

أما لقمان الحكيم الذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم.. فيذهب عامة المفسرين والمؤرخين إلى أنه كان في زمن داود ـ عليه السلام ـ.. وبين هود وداود ـ عليهما السلام ـ زمن طويل.. وكان بينهما أنبياء كثيرون.. منهم إبراهيم وأولاده وأحفاده ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.. ومنهم: لوط، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وإلياس، عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

٢ ـ أما من ناحية المقارنة الشخصية، فإن الفارق بينهما واضح جلي... فلقمان بن عاد تذكر عنه أشياء في حياته الشخصية تنفي الحكمة تماماً.. فقد كان مشهوراً بالحنكة والمواربة والمراوغة..

والمطلع على كتاب (مجمع الأمثال) للميداني.. يستشف من وراء شخصية لقمان بن عاد أنه كان رجلاً مخوفاً، يهابه الناس ويدرؤون شره عن أنفسهم بالابتعاد عنه.. فهو يريد أن يسطو على أموال الناس بالحيلة والمكر والخبث.. وهو لا يفتأ يحيك المؤامرات من أجل السطو على إبل فلان وفلان الذي بزّه في كثرة المال والنعم.. فهذه خصال تختلف عن صفات لقمان المعروف بالسكينة والموادعة..

وكذلك فإنه يضرب به المثل في كثرة الأكل فيقال:

(تجشأ لقمان من غير شبع)[١].

ويضرب هذا المثل لمن يدعي ما ليس يملك. ويقال:

(١) مجمع الأمثال جـ ١ ص ١٢٥.

(تجشأ لقمان من غير شبع، من علبتين وثمان وربع). قال أبو الهيثم: فهذه عشر علب مع ربع، لم يعدها لقمان شيئاً لكثرة حاجته إلى الأكل، وقد تجشأ تجشؤ غير الشبعان.

وقد عيرت بنو تـميم بحب الطعام. قال الشاعر:

إذا ما مات ميت من تميم فسرَّك أن يعيش فجيء بزاد

بخبـز أو بلحم أو بتمـر أو الشيء الملفف في البجاد

تـراه ينقب الآفاق حـولاً ليأكل رأس لقمان بن عاد[1]

فأين هذا من لقمان الحكيم وحكمه التي ينهى فيها عن كثرة الأكل؟!

ولكي تعرف ما أثـر عن شخصيته ومـآثره الاجتمـاعية، فراجع هذه الأمثال وشرحها للميداني في (مجمع الأمثال):

- إحدى حظيات لقمان / جـ ١ ص ٣٥.
- سدَّ ابن بيض الطريق / جـ ١ ص ٣٢٨.
- أشبه شرج شرجاً لو أن أسيمرا / جـ ١ ص ٣٦٢.
- صفراهن شرّاهن / جـ ١ ص ٣٩٨.
- طال الأبد على لبد / جـ ١ ص ٤٢٩.
- في نظم سيفك ما ترى يا لقيم / جـ ٢ ص ٧٥.
- أكبر من لبد. / جـ ٢ ص ١٧٠.
- ما لي ذنب إلا ذنب صحر / جـ ٢ ص ٢٦٤.
- رب أخ لم تلده أمك / جـ ٢ ص ٢٩١.
- أمنع من عنز. / جـ ٢ ص ٣٢٥.

---

(١) مجمع الأمثال جـ ١ ص ٣٩٥.

ـ هذا حر معروف / جـ ٢ ص ٣٨٩.

وقد ورد اسم لقمان على أنه اسم خمار، في شعر منسوب للنابغة حيث يقول:

كأن مشعشعاً خمر بصرى   نمته البخت مشدود الخيام
حملن قلاله من بين رأس   إلى لقمان في سوق مقام[١]

.. فلربما كان المقصود به أيضاً لقمان بن عاد..

وقد يكنى أيضاً بلقمان الحميري..

وقد ذكر في غير مصدر: أنه كانت للقمان أخت محمقة، تلد أولاداً حمقى، فذهبت إلى زوجة لقمان، وطلبت منها أن تنام في فراشها حتى يتصل بها لقمان فتلد منه ولداً كيّساً على شاكلته، فوقع عليها فأحبلها بـ (لقيم).. فهو ابن لقمان إذن من أخته..

وزعم الجاحظ أيضاً أن لقمان قتل ابنته (صحرا) أخت لقيم، وذلك أنه كان قد تزوج عدة نساء كلهن خنّه في أنفسهن، فلما قتل أخراهنّ ونزل من الجبل، كان أول من تلقاه (صحرا) ابنته. فوثب عليها فقتلها وقال: (وأنت أيضاً امرأة)!! وكان قد ابتلي بأخته على نحو ما ذكر، فاستاء من النساء، وضربت العرب في ذلك المثل بقتل لقمان ابنته صحرا[٢].

وقد زعم أن زرقاء اليمامة التي اشتهرت بحدة بصرها،

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي جـ ١ ص ٣١٦.
(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي جـ ١ ص ٣١٧.

كانت امرأة من بنات لقمان بن عاد[1].

.. فأين كل هذا وما اشتهر عن لقمان الحكيم من أنه كان دائم النصح لأولاده وزوجته.. وكان يستعمل الأدب والمنطق سلاحاً للإقناع، دون أن يؤثر عنه شيء من العنف والإرهاب..

فهذه الأخبار والآثار التي ذكرت عن لقمان بن عاد، لا تتفق وما ذكر عن لقمان الحكيم من الحكمة والرزانة والأدب وحسن الخلق والتواضع.. لأن الأخلاق والصفات التي نقلت عن لقمان بن عاد ليست من الحكمة في شيء..

ولم أر من ذكر له حكمة.. أو نقل عنه كلاماً يعظ به ابنه كما هو المأثور عن لقمان الحكيم.. وإنما هي أمثال معدودة أثرت عنه في قصص غريبة..

ولا شك أنه ربما اختلط أمر الاثنين في بعض النواحي التاريخية،أو أنه ربما كان هناك (لقمان) آخر غيرهما...

فالخلافات شأن كل شخصية تاريخية عفا عليها الزمن.. وتناقلتها الألسن بالحديث على مدى العصور، دون أن يكون هناك شيء مدون عنها.

.. ويبقى للقمان اسمه المدوي..

في سماء الحكمة المداوية..

---

(١) المفصل في تاريخ العرب جـ ١ ص ٣١٩.

اسمه ونسبه وكنيته:

لقمان اسم أعجمي لا عربي[1].

وقد اختلف في نسبه ـ رضي الله عنه ـ فذكر ابن كثير في تاريخه: أنه (لقمان بن عنقاء بن سدون). وحكى السهيلي عن ابن جرير والقتيبي: أنه (لقمان بن ثاران)[2]، وكنيته أبو أنعم[3].

من هو ومن عاصر؟

قال وهب: كان ابن أخت أيوب عليه الصلاة والسلام. وقال مقاتل: كان ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة، وأدرك داود ـ عليه السلام ـ وأخذ منه العلم. وكان

---

(١) إرشاد الساري جـ ٧ ص ٢٨٨. والغريب أن صاحب روح المعاني ذكر أنه أعجمي، ثم قال: إنه مشتق من اللقم. انظر جـ ٢١ ص ٨٢. ثم إن لقمان اسم علم، فإن كان أعجمياً فمنعه من الصرف للعجمة والعلمية وإن كان عربياً فمنعه للعلمية، وزيادة الألف والنون. ويكون مشتقاً من اللقم، مرتجلاً، إذ لا يعلم له وضع في النكرات. انظر تفسير البحر المحيط، تأليف أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان (٦٥٤ ـ ٧٥٤) جـ ٧ ص ١٨٢. مطابع النصر الحديثة ـ الرياض.

(٢) البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٣. وقيل: إنه ابن عاعوراء. تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٠. وذكر ابن إسحاق ـ صاحب المغازي: أنه لقمان بن عاعور بن تارخ وهو آزر أبو إبراهيم الخليل. روح البيان جـ ٣ ص ٤٨.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي جـ ٣ ص ٥١ طبعة ١٣٠٦ هـ.

يفتي قبل مبعثه، فلما بعث قطع الفتوى(١). قال ابن كثير: ويقال: كان قاضياً في زمن داود ـ عليه السلام ـ والله أعلم(٢). قال العلامة الآلوسي: والأكثرون على أنه كان في زمن داود عليه السلام(٣). وقال أيضاً:

واختلف فيه، أكان حراً أو عبداً؟ والأكثرون على أنه كان عبداً(٤).

قال ابن قتيبة: كان لقمان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالاً(٥).

موطنه ومدفنه:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أتدرون ما كان لقمان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: كان حبشياً»(٦). وذهب إلى كونه حبشياً ابن عباس ومجاهد(٧).

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦ وروح المعاني جـ ٢١ ص ٨٢ وانظر أيضاً: الكشاف جـ ٢ ص ١٩٤ ودائرة معارف القرن العشرين جـ ٨ ص ٣٧٠. ونقل عن الواقدي قوله: كان زمنه بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام. انظر البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦ وهو كلام غير دقيق.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ١٢٣.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٢.

(٤) انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣ ونقل هذا عن عكرمة أيضاً. انظر البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٧.

(٥) انظر (المعارف) لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦) ص ٥٥ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر.

(٦) أخرجه ابن مردويه. انظر فتح البيان في مقاصد القرآن جـ ٧ ص ٢٨١ للعلامة المحقق صديق حسن خان المتوفى سنة (١٣٠٧) مطبعة العاصمة ـ القاهرة.

(٧) انظر البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٣.

وقال السهيلي: كان لقمان نوبياً من أهل أيلة[١]. وكذلك نقل قتادة، عن عبد الله بن الزبير: قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم في شأن لقمان؟ قال: كان قصيراً أفطس من النوبة[٢]. وهو كما ذكر عن سعيد بن المسيب قوله: كان لقمان من سودان مصر[٣]..

وقبره في قرية (صرفند) ظاهر مدينة الرملة من أعمال فلسطين. وعلى قبره مشهد، وهو مقصود بالزيارة. وقال قتادة: قبره بالرملة، ما بين مسجدها وسوقها[٤].

مهنته:

ذكر أن لقمان كان يفتي قبل مبعث داود ـ عليه السلام ـ فلما بعث قطع الفتوى، فقيل له، فقال: ألا أكتفي إذا كفيت[٥]؟

وأخرج الإمام أحمد، عن مجاهد: أنه كان قاضياً على بني إسرائيل[٦].

---

(١) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٣ وأيلة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. انظر معجم البلدان جـ ١ ص ٢٩٢.

(٢) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤. والنوبة: جيل من السودان، الواحد نوبي. وبلاد النوبة: وطن ذلك الجيل، ويقع في الجزء الجنوبي من بلاد مصر. انظر المعجم الوسيط.

(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤.

(٤) روح البيان في تفسير القرآن جـ ٣ ص ٥١.

(٥) انظر تفسير الكشاف جـ ٢ ص ١٩٤ والنسفي جـ ٤ ص ١٣٠.

(٦) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني طبعة ٣٩٨. وكذلك قاله الإمام الثعالبي في تفسيره. جـ ٣ ص ٢٠٧.

وكان ذلك زمن داود عليه السلام[١].

وقال سفيان الثوري عن الأشعث، عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان عبداً حبشياً نجاراً[٢]. وكذلك روى ابن جرير وغيره، عن خالد الربعي[٣]. ونقل أنه كان نجاداً (بالدال) وهو: من يعالج الفرش والوسائد ويخيطها[٤]. وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد، وابن المنذر، عن ابن المسيب: أنه كان خياطاً. وهو أعم من النجاد[٥].

وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنه كان راعياً. وقيل: كان يحتطب كل يوم حزمة[٦]. ويقول العلامة الآلوسي بعد أن نقل هذه الأقوال: ولا وثوق لي بشيء من هذه الأخبار، وإنما نقلتها تأسياً بمن نقلها من المفسرين الأخيار[٧].

قلت: ولا يستبعد أن يكون لقمان قد اشتغل بكل هذه المهن، وخاصة على ما ذكر عنه من العمر الطويل.. فنستطيع القول بأنه كان عبداً عند سيده وكان يرعى ويحتطب له. والقاضي أو المفتي كان بإمكانه أن يعمل نجاراً أو خياطاً، لأن الحياة لم تكن معقدة في ذلك الوقت.

---

(١) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٣.
(٢) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٣ و ١٢٤.
(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٧ والبحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦.
(٤) البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦ وروح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.
(٥) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣. وانظر ما نقل عن سعيد بن المسيب في البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٧ وكتاب الزهد ص ٤٩.
(٦) البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦.
(٧) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.

أوصافه:

ذكر مجاهد في وصفه: أنه كان غليظ الشفتين، مصفح القدمين[1]. وقيل: كان نوبياً مشقق الرجلين ذا مشافر. وجاء ذلك في رواية عن ابن عباس، وابن المسيب، ومجاهد[2]. وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لجابر بن عبد الله: ما انتهى إليكم من شأن لقمان؟ قال: كان قصيراً أفطس من النوبة. وأخرج هو، وابن جرير، وابن المنذر، عن، ابن المسيب أنه قال: إن لقمان كان أسود من سودان مصر ذا مشافر[3]. قال الأوزاعي: حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال: جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله، فقال له سعيد: لا تحزن من أجل أنك أسود، فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان: بلال، ومهجع مولى عمر، ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً ذا مشافر[4].

---

(١) كذا أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص ٤٨، وكذا ذكر عن عمر بن قيس. انظر البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤.

(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣. وتفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن جـ ٣ ص ٢٠٧.

(٣) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٣. قال صاحب روح البيان (جـ ٣ ص ٤٨): ولا ضير فإن الله -تعالى- لا يصطفي عباده اصطفاء نبوة أو ولاية وحكمة على الحسن والجمال. وإنما يصطفيهم على ما يعلم من غائب أمرهم.

(٤) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٥ وتفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٠ والبداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤. والمشفر: شفة البعير، وتستعمل في الشفة الغليظة على التشبيه. وانظر المعجم الوسيط.

صفاته:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عمرو بن واقد، عن عبدة بن رباح، عن ربيعة، عن أبي الدرداء أنه قال يوماً ـ وذكر لقمان الحكيم ـ فقال: ما أوتي عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال. ولكنه كان رجلاً ضمضامة(١)، سكيتاً، طويل التفكير، عميق النظر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد يبزق، ولا يتنحنح، ولا يبول، ولا يتغوط، ولا يغتسل، ولا يعبث ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد(٢). وقال ابن كثير: كان رجلاً صالحاً، ذا عبادة وعبارة، وحكمة عظيمة(٣). وقال صاحب روح البيان: كان عبداً كثير التفكير، حسن اليقين، أحبَّ الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة، وهي إصابة الحق باللسان، وإصابة الفكر بالجنان، وإصابة الحركة بالأركان، إن تكلم تكلم بحكمة، وإن تفكر تفكر بحكمة، وإن تحرك تحرك بحكمة(٤).

ولقمان هو أول من يتأثر بحكمته ويعمل بها.. ولذلك كان دائم التفكير.

وفي بعض الكتب أنه عندما نصح ابنه بقوله: «يا بني، إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات

(١) الضمضم والضمضام: الجسيم المجتمع الخلق، أو الشجاع. انظر المعجم الوسيط.

(٢) البداية والنهاية جـ٢ ص ١٢٤.

(٣) البداية والنهاية جـ٢ ص ١٢٣.

(٤) روح البيان في تفسير القرآن جـ٣ ص ٤٨.

أوفي الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير». كانت هذه آخر كلمة تكلم بها، فانشقت مرارته من هيبتها فمات[١]!!

من حياته العائلية:

كان لقمان حكيمًا زاهداً في الدنيا غير مكترث بها ولا ملتفت إليها[٢].

وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم.

وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي[٣].

وقيل: إن ابنه كان كافراً ولذا نهاه عن الشرك: «يا بني لا تشرك بالله..» فلم يزل يعظه حتى أسلم. وكذا قيل في امرأته[٤]. فما زال بهما حتى أسلما[٥].

---

(١) روح البيان جـ٣ ص ٥٤. والتأثر والخشوع من صفات الأنبياء والمقربين في مقام الهيبة. روى الإمام أحمد عن مجاهد قال: كان يحيى بن زكريا - عليهما السلام - يبكي من خشية الله - عز وجل - ما لو كان القار على عينيه لخرقه، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه. كتاب الزهد ص ٩٠ قال صاحب روح البيان: وكان إبراهيم - عليه السلام - إذا صلى يسمع غليان صدره، وذلك من استيلاء الهيبة عليه. وهذا الغليان يقال له: برهان الصدر. وقع لنبينا - عليه السلام - في مرتبة الأكملية. فواعجباً لأمثالنا كيف لا ينجع فينا الوعظ. ولا يأخذ بنا معاني اللفظ وليس إلا من الغفلة والنسيان وكثرة العصيان/ جـ٣ ص ٥٤.

(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٦٥.

(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤.

(٤) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٥. وقيل: إن ابنه كان مسلمًا. والنهي عن الشرك تحذير له عن صدوره منه في المستقبل.

(٥) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٥.

ووصاياه لابنه كثيرة، كلها تبين مدى عاطفة الأب على الابن وحرصه الشديد على تقويم سلوكه ليكون أفضل الناس..

ونقل الطبري والقتيبي: أن اسم ابنه (تاران) وقيل: (ماثان)[1].

وأخرج ابن أبي الدنيا في (نعت الخائفين) عن الفضل الرقاشي قال: ما زال لقمان يعظ ابنه حتى مات. وأخرج عن حفص بن عمر الكندي قال: وضع لقمان جراباً من خردل، وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة، فنفد الخردل، فقال: يا بني، لقد وعظتك موعظة لو وعظتها جبلاً لتفطر. فتفطر ابنه[2]!.

وعن عبد الله بن دينار: أن لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات. قال: الحمد لله، ملكت أمري. قال: وما فعلت أمي؟ قال: قد ماتت. قال: ذهب همي. قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت. قال: جدّد فراشي. قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت. قال: سترت عورتي. قال: ما فعل أخي؟ قال: مات. قال: انقطع ظهري وانكسر جناحي. ثم قال: ما فعل ابني؟ قال: مات. قال انصدع قلبي[3].

(١) وقيل: (أنعم) و(أشكم) و(مشكم). انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤ وصحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٤٤.

(٢) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٧. وروح المعاني جـ ٢١ ص ٨٥. وتفطر: تشقق وانصدع. انظر المعجم الوسيط.

(٣) انظر روح البيان جـ ٣ ص ٥١ وانظره في كتاب الزهد ص ١٠٧ رواه الإمام أحمد وعبد الله بن دينار، ما عدا: ما فعل ابني...

حوادث بارزة في حياته:

عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة. فذبحها. قال: أخرج لنا أطيب مضغتين فيها. فأخرج اللسان والقلب. ثم مكث ما شاء الله ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج لنا أخبث مضغتين فيها. فأخرج اللسان والقلب. فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما؟. فقال لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا. ولا أخبث منهما إذا خبثا[1].

وروي: أنه دخل على داود ـ عليه السلام- .وهو يسرد درعاً، ـوقد لين الله له الحديدـ فأراد أن يسأله، فسكت، فلما أتم داود الدرع التي كان يسردها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت. فقال لقمان:

الصمت حكمة وقليل فاعله[2].

---

(١) كتاب الزهد ص ٤٩ والكشاف جـ ٢ ص ١٩٥ وإرشاد الساري جـ ٧ ص ٢٨٨ والبداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٧. وفي روح البيان (جـ ٣ ص ٥٠) أن هذه أول ظهور حكمته العقلية. وقال الإمام القرطبي بعد سياق الحادثة: هذا معناه مرفوع في غير ما حديث. من ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». وجاء في اللسان آثار كثيرة صحيحة وشهيرة. منها قوله عليه السلام: «من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة: ما بين لحييه ورجليه...» انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٦١.

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦١ والكشاف جـ ١٩٤ ـ ١٩٥ والعقد الفريد جـ ٢ ص ٤٧١ وقد غدت هذه الجملة مثلاً. انظر مجمع الأمثال جـ ١ ص ٤٠٢.

وكان لقمان يطيل الجلوس وحده. فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان، إنك تديم الجلوس وحدك، فلو جلست مع الناس كان آنس لك. فيقول لقمان:

إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة[1].

● وسكر مولاه يوماً، فخاطر أقواماً على أن يشرب ماء بحيرة، فلما أفاق عرف ما وقع فيه، فدعا لقمان، فقال له: لمثل هذا اليوم كنت خبأتك. قال: أخرج كرسيك وأباريقك، ثم اجمعهم، فلما اجتمعوا قال لهم: على أي شيء خاطرتموني؟ قالوا: على ماء هذه البحيرة، فقال لهم لقمان: إن لها مواداً، فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها، قالوا: وكيف نستطيع أن نحبس موادها؟ فقال لقمان: وكيف يستطيع شربها ولها مواد؟ / انظر قصص الأنبياء المسمى بالعرائس تأليف الإمام أبي اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ص ٢٤٤ ط ١٣٤٧ هـ مطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر.

● ويقول الإمام الثعلبي: أخبرنا أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال:

كان لقمان من أهون مملوك على سيده، فبعثه مولاه مع رفقة له إلى بستان له؛ ليأتوه بشيء من ثمره، فجاؤوا ليس معهم شيء، وقد أكلوا الثمرة، وأحالوا على لقمان، فقالوا لمولاه:

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

إن ذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً، فاسقني وإياهم ماءً جميعاً، ثم أرسلنا لنقذفه، ففعل، فجاؤوا يتقايؤون الفاكهة، وجعل لقمان يتقايأ ماءً نقياً، فعرف صدقه من كذبهم.

قصص الأنبياء للثعلبي ص ٢٤٤

نبي أم حكيم؟

قال ابن كثير: اختلف السلف في لقمان: هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة على قولين: الأكثرون على الثاني[١]. وقال أيضاً: المشهور عن الجمهور أنه كان حكيماً ولياً، ولم يكن نبياً[٢]. نقل هذا غير واحد من السلف. منهم: مجاهد، وسعيد ابن المسيب، وابن عباس. والله أعلم[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٣ والكشاف جـ ٢ ص ١٩٤.

(٢) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٥. وانظر قول الجمهور في إرشاد الساري جـ ٧ ص ٢٨٨ وتفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٠. وقال صاحب روح البيان: الجمهور على أنه كان حكيماً حكمة طب وحكمة حقيقية. انظر جـ ٣ ص ٤٨.

(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٩. وكذا اعتمده شعبة بن الحكم. انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٣ واختاره الآلوسي. انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣. وقد نظم السيوطي في من اختلف في نبوته فقال:

واختلف في خضر أهل النقولْ ... قيل: نبي أو ولِّي أو رسولْ
لقمان، ذي القرنين، حواء مريم ... والوقف في الجميع رأي المعظم

تفسير القاسمي جـ ١٣ ص ٤٧٩٦.

فقد نقل عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله: لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان راعياً أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته، فقصَّ أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته[1]. وقال سعيد بن المسيب عنه:

أعطاه الله تعالى الحكمة، ومنعه النبوة[2]. وقيل: خير بين النبوة والحكمة[3]. قال ابن أبي حاتم. حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال: خيَّر الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة على النبوة. قال: فأتاه جبريل وهو نائم. فذرّ عليه الحكمة فأصبح ينطق بها[4]. وقال سعيد: فسمعت عن قتادة يقول: قيل للقمان: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه، ولكنت أرجو أن أقوم بها، ولكنه خيرني،فخفت أن أضعف عن النبوة، فكانت الحكمة أحب إلي[5]. وهو قول من قال بأنه اختار الحكمة لأنها أسهل عليه[6].

انظر الكشاف جـ ٢ ص ١٩٤ ودائرة معارف القرن العشرين جـ ٨ ص ٣٧٠.

(٢) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٥.

(٣) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٤ وتفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٠.

(٤) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٩.

(٥) قال ابن كثير: فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف. تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٤. قال: وقد تكلموا فيه. والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: «ولقد آتينا لقمان الحكمة» قال: يعني: الفقه والإسلام ولم يكن نبياً ولم يوح إليه. انظر البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٩.

(٦) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤.

وروى من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول ﴿لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين، أحب الله تعالى فأحبه فمنّ عليه بالحكمة، وخيره في أن يجعله خليفة يحكم بالحق؛ فقال: ربِّ إن خيرتني قبلتُ العافية وتركت البلاء، وإن عزمت علي فسمعاً وطاعة فإنك ستعصمني﴾. ذكره ابن عطية. وزاد الثعلبي: فقالت له الملائكة بصوت لا يراهم: لِمَ يا لقمان؟ قال: لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه المظلوم من كل مكان، إنْ يُعَنْ فبالَحرَي أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة. ومن يكن في الدنيا ذليلاً فذلك خير من أن يكون فيها شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا يصيب الآخرة. فعجبت الملائكة من حسن منطقه؛ فنام نومة فأعطي الحكمة، فانتبه يتكلم بها. ثم نودي داود بعده فقبلها ـ يعني الخلافة ـ ولم يشترط ما اشترطه لقمان، فهوى في الخطيئة غير مرة. كل ذلك يعفو الله عنه. وكان لقمان يوازره بحكمته. فقال له داود: طوبى لك يا لقمان! أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء، وأعطي داود الخلافة وابتلي بالبلاء والفتنة[1].

ويعلق الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي صاحب (الانتصاف المحلى بطرازه حواشي الكشاف)[2]. على قول الزمخشري عندما ذكر اختلاف العلماء

(١) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٠ طبعة ١٣٦٤ القاهرة.

(٢) بين فيه ما تضمنه الكشاف من الاعتزال وناقشه في أعاريب، وأحسن الجدال، توفي سنة (٦٨٣) رحمه الله.

في نبوة لقمان وأنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة؛ قال: وفي هذا بعدٌ بيّن، وذلك أن الحكمة تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره، وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة(١). قال الإمام النووي: قال الإمام أبو إسحاق الثعالبي: اتفق العلماء على أنه كان حكيمًا ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه قال: كان نبياً. وتفرد بهذا القول(٢). أقول: وقد نقل مثل هذا عن الشعبي أيضاً(٣).

وللتحقيق في هذا ورفع الإشكال البسيط يقول ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (. . . فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك، لأن كونه عبداً قد مسّه الرق ينافي كونه نبياً، لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها، ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه، فإنه رواه ابن جرير،وابن أبي،حاتم من حديث وكيع،عن إسرائيل،عن جابر ،عن عكرمة قال: كان لقمان نبياً. وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف. والله أعلم(٤).

---

(١) الانتصاف على الكشاف جـ ٢ ص ١٩٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٤٤ .

(٣) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٤ وتفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٥٩ وتفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٠ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٤٣ . وانظر التعليق على يزيد هذا في فتح البيان جـ ٧ ص ٢٨٠ .

لقمان في حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم):

١ ـ ورد في صحيح البخاري ومسلم، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «لما نزلت: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم... ﴾[1]. شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: «يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»[2].

٢ ـ عن عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «قال لقمان: إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه. وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[3].

٣ ـ وروى ابن أبي حاتم، عن القاسم بن مخيمرة: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني إياك والتقنع[4]، فإنه مخوفة بالليل، مذمة

---

(١) الأنعام: (٨٢).

(٢) انظر فتح الباري جـ ٨ ص ٣٩٤ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٤٣ وانظر الروايات وطرقها في فتح الباري جـ ١ ص ٨١ ـ ٨٢ وإرشاد الساري جـ ١ ص ١١٧ ـ ١١٨. وروى الحديث الترمذي ايضاً. انظر التاج الجامع للأصول جـ ٤ ص ١١٣.

(٣) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٢٥٣. قال العراقي: أخرجه النسائي في اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصراً وإسناده جيد.

(٤) قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، سمعت ابن جريج قال: كنت أقنع رأسي بالليل فقال لي عمر: أما علمت أن لقمان قال القناع بالنهار مذلة =

بالنهار»[١].

٤ - وعن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن[٢]. قال الطبراني: أراد الحبش[٣].

٥ - وأخرج الطبراني أيضاً عن أبي أمامة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن لقمان قال لابنه: يا بني، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي القلب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»[٤]

٦ - وروى أبو بلال العجلي، عن حذيفة بن اليمان، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «قال لقمان لابنه: يا

= معذرة أو قال: معجزة بالليل. فلم تقنع رأسك بالليل؟ قال: قلت: إن لقمان لم يكن عليه دين. البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٨.

(١) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٦ - ١٢٧ وتفسير القاسمي جـ ١٣ ص ٤٨٠٣.

(٢) رواه الطبراني عن ابن عباس، وعزاه في الجامع الصغير للطبراني ولابن حبان في الصغفاء بلفظ: «اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن» انظر كشف الخفا جـ ١ ص ٣٦.

وفي رواية: «خير السودان ثلاثة: لقمان، وبلال، ومهجع، مولى رسول الله ﷺ انظر تخريجه في كشف الخفا جـ ١ ص ٤٧٣ وقد نظم ذلك بعضهم بقوله:

سادة السودان أربع ... هكذا قال المشفع
النجاشي وبلال ... ثم لقمان ومهجع

نفس المصدر جـ ١ ص ٤٧٤.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن جـ ٧ ص ٢٨١.

(٤) روح المعاني جـ ٣ ص ٤١.

بني، إذا استشهدت فاشهد، وإذا استعنت فأعن وإذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر(١).

أسئلة يجيب عنها لقمان:

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان - هو ابن عيينة- قال: قيل للقمان: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً(٢).

قال: وحدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة قال: قيل للقمان: أي الناس أصبر؟ قال: صبر لا يتبعه أذى. قيل: فأي الناس أعلم؟ قال: من ازداد من علم الناس إلى علمه. قيل: فأي الناس خير؟ قال: الغني. قيل: الغني من المال؟ قال: لا ولكن الغني الذي إذا التمس عنده خير وجد، وإلا أغنى نفسه عن الناس(٣).

- وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني(٤).

---

(١) منهاج اليقين ص ٤٩٧.

(٢) كتاب الزهد ص ٥٠ يقول الإمام القرطبي: وهذا أيضاً مرفوع معنى، قال ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» رواه أبو هريرة، خرجه البخاري انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦١.

(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٨ وكتاب الزهد ص (١٠٥) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ١١٣ وأخرجه الإمام أحمد عن أبي الحكم في كتاب الزهد ص ١٠٦.

ويروى أنه سئل: أي عملك أوثق؟ قال: تركي ما لا يعنيني[1].

وقال ابن لقمان لأبيه: يا أبت،أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدِّين. قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال. قال: فإذا كانت ثلاثاً؟ قال: الدين والمال والحياء. قال: فإذا كانت أربعاً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت خمساً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء. قال: فإذا كانت ستاً؟ قال: يا بني،إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي، ولله ولي، ومن الشيطان بري[2].

وروي أن لقمان سأله ابنه: أرأيت الحبة تقع في مغاص البحر أيعلمها الله تعالى؟ فقال: «يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير»[3] لقمان: (١٦).

وعن مقاتل أن ابن لقمان قال لأبيه: يا أبتاه،إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فرد عليه لقمان: «يا بني إنها إن تك. . .»[4] الآية.

ومن حكمته أن داود ـ عليه السلام ـ قال له يوماً: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بيد غيري. فتفكر داود فيه،

---

(١) انظر مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٣١٧.

(٢) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ٥٢.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٨.

(٤) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي جـ ٣ ص ٥٣.

فصعق صعقة[1].

حوار مع لقمان:

قال عمر بن قيس: كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين، مصفح القدمين، فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم فقال له: ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم. قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني[2].

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي يزيد بن جابر قال: إن الله رفع لقمان الحكيم لحكمته، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال: ألست عبد بني فلان الذي كنت ترعى غنمي بالأمس؟ قال: بلى. قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني[3].

وفي (روح البيان) أنه بينما يعظ الناس يوماً وهم مجتمعون عليه لاستماع كلمة الحكمة، إذْ مرَّ به عظيم من عظماء بني إسرائيل فقال: ما هذه الجماعة؟ فقيل له: هذه جماعة، اجتمعت على لقمان الحكيم. فأقبل إليه فقال له: ألست العبد الأسود الذي كنت ترعى بموضع كذا وكذا؟ قال: بلى. فقال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة

---

(١) البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦ وروح البيان جـ ٣ ص ٥٠.
(٢) رواه ابن جرير. انظر البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤.
(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤ وتفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٠ ـ ٦١. وانظر القصة أيضاً في تفسير الثعالبي جـ ٣ ص ٢٠٧.

وترك ما لا يعني[1].

وقال ابن وهب: أخبرني عبد الله بن عياش الفتياني،عن عمر مولى عفرة قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان، أنت عبد بني النحاس؟ قال: نعم.قال: فأنت راعي الغنم الاسودُ؟ قال: أما سوادي فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك. قال: يا ابن أخي، إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك . قال: ما هو؟ قال لقمان: غضّي بصري، وكفّي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، وقولي بصدقي، ووفائي بعهدي، وقيامي بعدّتي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني كما ترى[2].

وروي أنه قيل له: ما أقبح وجهك يا لقمان! فقال: أتعيب بهذا على النقش أم على النقاش[3]؟!

وعن مجاهد:أن لقمان قال لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض .

وروى الإمام أحمد عن عوف بن عبد الله قال: قال لقمان لابنه: ارج الله عز وجل رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله

---

(١) روح البيان جـ٣ ص ٥٠.

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٤.

(٣) روح البيان جـ٣ ص ٤٨.

(٤)الكشاف جـ٢ ص ١٩٤ وتفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٠.

مخافة لا تيأس فيها من رحمته. قال: يا أبتاه، وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد؟ قال: يا بني،إن المؤمن لذو قلبين: قلب يرجو به، و قلب يخاف به[1].

(١) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص١٠٧.

الفصل الرابع

حِكم لقمان

مجلّة لقمان

ذكر ابن كثير أنه كان للقمان كتاب يؤثر عنه يسمى بـ (حكمة لقمان)[1]، أو مجلة لقمان[2].

والظاهر أن هذه المجلة تحتوي على حكم كثيرة جليلة المعنى.. ونقل بعض المؤرخين أنها كانت موجودة عند بعضهم في صدر الإسلام.

فقد ذكر ابن إسحاق: أنه لما قدم سويد بن صامت مكة حاجاً أو معتمراً ـ وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم: الكامل، لَجلَده وشعره وشرفه ونسبه ـ تصدى له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان ـ يعني: حكمة لقمان ـ فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: اعرضها علي. فعرضها عليه، فقال له: إن

(١) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٦.

(٢) يقول ابن الأثير: كل كتاب عند العرب مجلة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري جـ ١ ص ٢٨٩ وجـ ٤ ص ٣٠٠ المكتبة الإسلامية، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.

هذا الكلام حسن، والذي مغي أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله تعالى علي، هو هدى ونور. فتلا عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد عنه. وقال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخزرج، فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم. وكان قتله قبل يوم بعاث[١].

... وسأنقل ما ذكر أنه وجد في (الحكمة) وأدع ما بقي إلى عناوين أخرى[٢]..

قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال:

* مكتوب في الحكمة: يا بني، إياك، والرغب، فإن الرغب[٣] كل الرغب يبعد القريب من القريب، ويزيل الحكم كما يزيل الطرب، يا بني، إياك وشدة الغضب، فإن شدة الغضب ممحقة لفؤاد الحكيم..

* وقال: مكتوب في الحكمة: بني لتكن، كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء..

* وقال: مكتوب في الحكمة أو في التوراة: الرفق رأس الحكمة.

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٤٢٧ الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ.

(٢) نقل ابن كثير في تاريخه ما كتبه الإمام أحمد في كتاب الزهد. وما وضعته بين قوسين لم أجده في كتاب الزهد. فربما سقط من تلك الطبعة.

* وقال: (مكتوب في الحكمة: كما تزرعون تحصدون).
* وقال: مكتوب في الحكمة: أحب خليلك وخليل أبيك.
* قال أحمد: (وحدثنا أبو الصمد، عن مالك بن دينار قال: وجدت في بعض الحكمة: يبدد الله عظام الذين يتكلمون بأهواء الناس). ووجدت فيها: لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم، ولّما تعمل بما قد علمت. فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة ثم ذهب يحملها فعجز عنها فضمَّ اليها أخرى[1].
* وروى الإمام أحمد، عن أبي الجلد قال: قرأت في الحكمة: من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ. ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزاً. والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية[2].
* وروي عن خالد بن يزيد بن صبيح، عن أبيه قال: قالت الحكمة: يا ابن آدم، تلتمسني وأنت تجدني في حرفين: تعمل بخير ما تعلم، وتدع شر ما تعلم[3].
* وروي عن الربيع بن أنس قال: وفي الحكمة: إن العمل الصالح يرفع ربه إذا عثر[4].
* وروي عن أبي حبيب السلمي قال: قرأت في الحكمة: انصت للسائل حتى ينقضي كلامه ثم اردد عليه برحمة. وكن

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٧ فما بعد، وكتاب الزهد ص ٤٩ ـ ٥٠ طبعة ١٩٧٨.
(٢) كتاب الزهد ص ١٠٥.
(٣) كتاب الزهد ص ١٠٥.
(٤) كتاب الزهد ص ١٠٦.

لليتيم كالأب الرحيم، وكن للمظلوم ناصراً تكنْ خليفة الله في أرضه[١].

* وروي عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: لا تخن الخائن، خيانته تكفيه[٢].

* وروي عن أبي معاوية الغلابي قال: حدثني رجل من أهل الجزيرة من قيس قال: مكتوب في الحكمة: اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك[٣].

* وقال أبو الحسن: مكتوب في الحكمة: التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والوحدة خير من قرين السوء[٤].

* وروى هشام بن عروة، عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: ملعون من لعن أباه، ملعون من لعن أمه، ملعون من صدَّ عن السبيل وأضلّ الأعمى عن الطريق، ملعون من ذبح بغير اسم الله، ملعون من غير تخوم الأرض[٥].

* وقال منصور بن عمار - رضي الله تعالى عنه - في الحكمة:

من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر بشيءٍ، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما في يد غيره، ومن سلّ سيف البغي قطع به يده،

---

(١) كتاب الزهد ص ١٠٦.

(٢) كتاب الزهد ص ١٠٦.

(٣) كتاب الزهد ص ٣٨٦. وكذا نقل عن عامر بن الظرب العدواني. انظر البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤٤.

(٤) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٥١.

(٥) يعني الحد الذي بين أرضه وأرض غيره. ومعنى قوله لعن أباه ولعن أمه. يعني: عمل عملاً يلعن به أبواه فيصير كأنه هو الذي لعنهما.

ومن احتفر بئراً لأخيه وقع فيه، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورته، ومن نسي زلل نفسه، استعظم زلة غيره، ومن كابد الأمور عطب - يعني ارتكب الأمور العظام - ومن خاطر بنفسه هلك، ومن استغنى بعقله ذلّ، ومن تكبر على الناس ذل، ومن تعمق في العمل ملّ، ومن فخر على الناس قصم - يعني كسر - ومن سفه عليه شتم، ومن صاحب الأرذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مدخل السوء اتهم، ومن تهاون بالدين ارتطم، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العافية اصطبر، ومن جهل موضع قدمه مشت في ندامة، ومن خشي الله فاز، ومن لم يجرّب الأمور خدع، ومن صارع أهل الحق صُرع، ومن احتمل ما لا يطيقه عجز، ومن عرف أجله قصر أمله، ومن تعود طريق الجهل ترك طريق العدل.

***

حِكَم لقمان لابنه

* روى الإمام أحمد،عن عوف بن عبد الله قال: قال لقمان لابنه: يا بني،إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإسلام - يعني السلام - ثم اجلس في ناحيتهم،فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك،وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم[1].

* وروي عن السري بن يحيى قال: قال لقمان لابنه: يا

---

(١) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٧،وتفسير القاسمي جـ ١٣ ص ٤٨٠٣. وانظر أيضاً العقد الفريد جـ ٣ ص ١٥٢ الطبعة الثالثة (١٩٦٥) بألفاظ متقاربة.

بني، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك[1].

* وروي عن محمد بن واسع قال: كان لقمان يقول لابنه: يا بني،اتق الله ولا تري الناس أنك تخشى الله ليكرموك بذلك وقلبك فاجر[2].

* وروي عن مالك بن دينار قال: قال لقمان لابنه: يا بني، اتخذ طاعة الله تجارة، تأتك الأرباح من غير بضاعة[3].

* وروي عن رجل من أهل البصرة يقال له: الجعد أبو عثمان. قال: قال لقمان لابنه: لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله، ولا تهاون بمقت الحكيم فيزهده فيك[4].

* وقال لقمان لابنه: يا بني، إني قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت[5].

* وروي عن سفيان قال. قال: لقمان: يا بني،ما ندمت على السكوت قط، وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب[6].

* وروي عن قتادة قال: قال لقمان لابنه: يا بني،اعتزل

---

(١) كتاب الزهد ص ١٠٥ والبداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٧ وتفسير القاسمي جـ ١٣ ص ٤٨٠٣.

(٢) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ٣٣١ وكتاب الزهد ص ٤٩ و ١٠٥ والعقد الفريد جـ ٣ ص ٢١٥.

(٣) كتاب الزهد ص ٤٩.

(٤) كتاب الزهد ص ١٠٧.

(٥) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ١٤٥.

(٦) كتاب الزهد ص ٤٩.

الشر يعتزلك فإن الشر للشر خلق(١). وفي قول: اترك الشر كما يتركك(٢).

* وروي عن عبيد الله بن عمير قال: قال لقمان لابنه وهو يعظه:

يا بني،اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله- عز وجل -فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك غبياً يعلموك، وإن يطلع الله عليهم برحمة تـصبك معْهم. يا بني،لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله فيه، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تـك غبياً يزيدوك غبياً، وإن يطلع الله عليـهم بعد ذلك بسخط يصـبك معهم، يا بني،لا تغبطوا أمراء رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين، فإن له عند الله قاتلاً لا يموت(٣).

* وروي عن أبي سعيد قال: قال لقمان لابنه: يا بني،لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء(٤).

* وروى الإمام أحمد،عن معاوية بن قرة قال: قال لقمان لابنه: يا بني،جالس الصالحين من عباد الله،فإنك تصيب من محاسنهم خيراً،ولعله أن يكون آخر ذلك أن تنزل عليهم الرحمة فتصيبك معهم. يا بني،لا تجالس الأشرار فإنك لا تصيب من مجالستهم خيراً، ولعله أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم

(١) البداية والنهاية جـ٢ ص ١٢٨. وفي كتاب الزهد طبعة (١٩٧٨) دون: (يا بني،اعتزل الشر يعتزلك).وربما سقط الكلام من هذه الطبعة.

(٢) أراد: كيما يتركك. انظر مجمع الأمثال جـ١ ص ١٣٨.

(٣) البداية والنهاية جـ٢ ص ١٢٨.

(٤) البداية والنهاية جـ٢ ص ١٢٨.

عقوبة فتصيبك معهم[1].

* ومن حكمته قوله لابنه: أي بني، :إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو، ولا أراك ناجياً[2]!

* وقوله: يا بني، ارج الله-عزوجل-رجاء لا يجريك على معصيته تعالى، وخف الله-سبحانه-خوفاً لا يؤيسك من رحمته، تعالى شأنه[3].

* وقوله: يا بني، حملت الجندل والحديد وكل شيء ثقيل، فلم أحمل شيئاً هو أثقل من جار السوء، وذقت المرار فلم أذق شيئاً هو أمرّ من الفقر، يا بني،لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك، يا بني،احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة، والعرس يشهيك الدنيا، يا بني لا تأكل شبعاً على شبع، فإن إلقاءك إياه للكلب خير من أن تأكله، يا بني،لا تكن حلواً فتبلع، ولا مراً فتلفظ[4].

* وقوله: يا بني،إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه، وإلا فاحذره[5].

---

(١) كتاب الزهد ص ١٠٦.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣ ص ٢٠٧ ورواه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص ١٠٤ وانظر بألفاظ متقاربة العقد الفريد جـ٣ ص ١٧٣.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.

(٤) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤ وأخرج أوله الإمام أحمد،عن حسن البصري في كتاب الزهد ص ١٠٥.

(٥) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤.

* وروى الإمام أحمد، عن مالك قال: قال لقمان لابنه: يا بني، كيف تطاول على الناس ما يوعدون، وهم إلى ما لا يوعدون سراعاً يذهبون(١).

* وقوله: يا بني، أنزل نفسك من صاحبك منزلة من لا حاجة له بك، ولا بد لك منه. يا بني، كن كمن لا يبتغي محمدة الناس ولا يكسب ذمهم، فنفسه منه في عناء، والناس منه في راحة(٢).

* وقوله: يا بني، امتنع بما يخرج من فيك، فإنك ما سكت سالم، وإنما ينبغي لك من القول ما ينفعك(٣).

* وقال لقمان لابنه: يا بني، لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة(٤).

* وقال: يا بني، زاحم العلماء بركبتيك، ولا تجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً وعلى أعناق الرجال كلاً. وصم يوماً يكسر شهوتك، ولا تصم صوماً يضرُّ بصلاتك، فإن الصلاة أفضل من الصوم. وكن كالأب لليتيم، وكالزوج للأرملة، ولا تحاب القريب، ولا تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين البتة(٥).

(١) كتاب الزهد ص ٣٢٠.

(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤ وكتاب الزهد ص ١٠٥. رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن دينار.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤.

(٤) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ١٢.

(٥) انظر البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٨٩ وقريبا منه في إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٥٥.

* وقال أيضاً لابنه: يا بني،لا تضحك من غير عجب، ولا تمش في غير أرب، ولا تسأل عما لا يعنيك، ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك. فإن مالك ما قدمت، ومال غيرك ما تركت. يا بني،إن من يَرحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يقل الخير يغنم، ومن يقل الشر يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم[١].

* وقال لقمان لابنه: يا بني،إن الذهب يجرب بالنار، والعبد الصالح يجرب بالبلاء، فإذا أحب الله قوماً، ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط[٢].

* وقال أيضاً: يا بني،أمر لا تدري متى يلقاك، استعد له قبل أنْ يفجأك[٣].

* وقال: يا بني،إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة[٤].

* وقال: يا بني،أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيداً:

ابسط خلقك للقريب والبعيد. وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم. واحفظ إخوانك، وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع، أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك. وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك[٥].

(١) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٥٥ والعقد الفريد جـ ٣ ص ١٥٢.
(٢) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ١٣٣.
(٣) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٤٦١.
(٤) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ٨٢ و ٨٤.
(٥) إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

* وقال: يا بني، لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك(١).

* وقال: يا بني، أرسل حكيمًا وأوصه(٢).

* وقال أيضاً: يا بني، أرسل حكيمًا ولا توصه(٣).

* وقال: يا بني، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً(٤).

* وروي عن مالك قال: قال لقمان لابنه: يا بني، إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرة سراعاً يذهبون، وإنك قد استدبرت الدنيا مذ كنت، واستقبلت الآخرة مع أنفاسك، وإن داراً ستسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها(٥).

* وقال: يا بني، إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام، كذلك تموت، وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه، فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك(٦).

* وقال: يا بني، إياك والدَّين، فإنه ذلٌّ النهار، همٌّ

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣ ص ١٧٦.

(٢) أي: وإن كان حكيمًا فإنه يحتاج إلى معرفة غرضك (مجمع الأمثال جـ١ ص ٣٠٣).

(٣) أي: هو مستغنٍ بحكمته عن الوصية (مجمع الأمثال جـ١ ص ٣٠٣) وربما قالها لابنه في مناسبتين.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣ ص ٢٠٨.

(٥) تفسير الثعالبي جـ٣ ص ٢٠٨. وانظر قريباً منه في إحياء علوم الدين جـ٣ ص ٢٠٩.

(٦) إحياء علوم الدين جـ١ ص ٣٤٥.

الليل[1].

* وقال: يا بني،كذب من قال:الشر يطفىء الشر. فإن كان صادقاً فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى؟ وإنما يطفىء الشرَّ الخيرُ كما يطفىء الماء النار[2].

* وقال: يا بني، أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئاً أمرَّ من الفقر. فإن افتقرت فلا تحدّث به الناس كيلا ينتقصوك. ولكن اسأل الله تعالى من فضله،فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه، أودعاه فلم يجبه، أو تضرع فلم يكشف ما به[3]؟.

* وقال: يا بني، إياك والسؤال، فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك[4].

* ويروى أنه قال لابنه: يا بني،إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء، صلّها واسترح منها فإنها دين، وصلِّ في جماعة ولو على رأس زج[5]

وروى الإمام أحمد،عن محمد المكي قال: قال لقمان لابنه: يا بني،جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله-تبارك وتعالى-

---

(١) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.

(٢) منهاج اليقين ص ٥٤٥ - ٥٤٦ والمستطرف في كل فن مستظرف جـ ١ ص ١٥٥.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف جـ ٢ ص ٤٧.

(٤) المستطرف جـ ٢ ص ٥٨. وتروى بزيادة: واعلم أنه بالبر تستعبد الحر، والبر شيء هين: وجه طليق ولسان لين.

(٥) روح المعاني جـ ٢ ص ٨٩. والزج: الحديدة في أسفل الرمح. انظر المعجم الوسيط.

ليحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء[1].

* وروى الإمام أحمد، عن عوف قال: قال لقمان لابنه: يا بني، إن المؤمن لذو قلبين: قلب يرجو به، وقلب يخاف به[2].

* وقال: يا بني، استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر[3].

* وقال لابنه أيضاً: لا تركن إلى الدنيا، ولا تشغل قلبك بها، فإنك لم تخلق لها، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين، ولا بلاءها عقوبة للعاصين[4].

* وروي أنه قال لابنه: يا بني، أوصيك باثنتين ما تزال بخير ما تمسكت بهما: درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك[5].

* وقال لابنه أيضاً: إذا احتجت إلى السلطان فلا تلحَّ عليه، ولا تطلبها إلا عند الرضا وطيب النفس. ولا تستعن بمن يغشك، ولا تطلب إلى لئيم، فإنه إن ردّك كان ردُّه عليك عيباً، وإن قضى حاجتك كان قضاؤه عليك منَّة[6].

---

(١) كتاب الزهد ص ١٠٧ وإحياء علوم الدين جـ ٢ ص ١٧٣ وفي العقد الفريد (جـ ٣ ص ١٥٢ ـ ١٥٣). وانصت إليهم بأذنيك. بعد: زاحم العلماء بركبتيك.

(٢) كتاب الزهد ص ١٠٥.

(٣) العقد الفريد جـ ٣ ص ١٥٢ و ص ٢١٣.

(٤) العقد الفريد جـ ٣ ص ١٥٢.

(٥) العقد الفريد جـ ٦ ص ١٩٦.

(٦) مجمع الأمثال للميداني جـ ٢ ص ٤٥٩.

* الشحُّ وسوء الخلق وكثرة طلب الحوائج إلى الناس من علامات السفهاء[1].

* لا تعتذر إلى من لا يحب أن لا يرى لك عذراً، ولا تستعن بمن لا يحب أن تظفر بحاجتك[2].

* من صبر على احتمال مؤن الناس سادهم[3].

* أحسن الناس مروءة وأدباً من إذا احتاج نأى، وإذا احتيج إليه دنا[4].

* ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك[5].

* من كتم سره كان الخيار بيده[6].

اعتـزل عدوك، واحـذر صديقـك، ولا تعتـرض لمـا لا يعنيك[7].

* لا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ولا بالباطل عند الحكماء فيمقتوك[8].

* من حدث لمن لا يستمع لحديثه، كان كمن قدم حطامه إلى أهل القبور[9].

---

(١) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٥٩.
(٢) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٥٩.
(٣) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٥٩.
(٤) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٥٩.
(٥) مجمع الأمثالجـ٢ ص ٤٥٩.
(٦) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٦٠.
(٧) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٦٠.
(٨) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٦٠.
(٩) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٦٠.

* لا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث غير أهله فتجهل[١].

* وقال: يا بني، إياك والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً، وإذا ضجرت لم تصبر على حق[٢].

* وقال: شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه مجاناً[٣].

* وقال الصلتان:

ألم تر لقمان أوصى بنيه ... وأوصيت عمراً ونعم الوصي
بني بدا خب نجوى الرجال ... فكن عند سرك خب النجي
وسرك ما كان عند امرىء ... وسر الثلاثة غير الخفي[٤]

وقال لقمان: يا بني، لا تترك صديقك الأول فلا يطمئن إليك الثاني، يا بني اتخذ ألف صديق والألف قليل، ولا تتخذ عدواً واحداً والواحد كثير[٥].

* وقال: يا بني، إن الناس ثلاثة أثلاث: ثلث لله، وثلث لنفسه، وثلث للدود. فأما ما هو لله فروحه. وأما ما هو لنفسه فعمله، وأما ما هو للدود فجسمه[٦].

---

(١) مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٤٦٠.
(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٤٩ وص ٣٣٨ ومنها ج اليقين ص ٨٨.
(٣) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص ٤٩٣.
(٤) منهاج اليقين ص ٥٠٠ وانظر البيت الأول والثالث في كتاب الحيوان للجاحظ جـ ٣ ص ٤٧٨ الطبعة الثالثة.
(٥) منهاج اليقين ص ٥٤٨.
(٦) انظر كتاب منبهات ابن حجر العسقلاني ص ٩.

* وقال: يا بني، إن الحكمة أن تعمل عشرة أشياء: أحدها تحيي القلب الميت، وتجلس المسكين، وتتقي مجالس الملوك، وتشرف الوضيع، وتحرر العبيد، وتؤوي الغريب، وتغني الفقير، وتزيد لأهل الشرف شرفاً، وللسيد سؤدداً وهي أفضل من المال، وحرز من الخوف، وعدة في الحرب، وبضاعة حين يُربح، وهي شفيعة حين يعتريه الهول، وهي دليلة حين ينتهي به اليقين إلى النفس، وهي سترة حين لا يستره ثوب(١).

* وقال: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه(٢)، وضعف في عقله(٣)، وذهاب مروءته(٤)، وأعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به واحتقارهم له وازدراؤهم لحاله(٥)..

* وقال أيضاً: يا بني، من يصحب صاحب السوء لم يسلم. ومن يدخل مدخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم.

* وذكر أن لقمان الحكيم - رحمه الله تعالى - لما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني، كثيراً ما أوصيتك إلى هذه الغاية، وإني أوصيك الآن بست خصال، فيها علم الأولين والآخرين.

---

(١) منبهات ابن حجر العسقلاني ص ٤٤.

(٢) وهو كناية عن قلته، فإن الفقر قد يحمله على ما يوجب ذلك.

(٣) وذلك لكثرة ما يعتريه من الهموم والأفكار وهي لا شك تظلم العقل وتفسد الرأي.

(٤) ولا دين لمن لا مروءة له.

(٥) عن كتاب (هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة) للشيخ علي محفوظ ص ٢٨٠ طبعة ١٣٨١ هـ.

أولهما أن لا تشغل نفسك بالدنيا إلا بقدر ما بقي من عمرك، والثاني: اعبد ربك بقدر حوائجك إليه. والثالث: اعمل للآخرة بقدر ما تريد المقام بها، والرابع: ليكن شغلك في فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النجاة منها. والخامس: ليكن جراءتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب الله. والسادس: إذا أردت أن تعصي الله، اطلب مكاناً لا يراك الله وملائكته.

* وفي عظة طويلة يعظ لقمان بها ابنه، رواها المحاربي عن سفيان الثوري، ننقل بعضها، وإن أدى ذلك إلى بعض التكرار لحكم صغيرة منها:

«يا بني، لا تضع برّك إلا عند راعيه، كما ليس بين الكبش والذئب خلّة، كذلك ليس بين البار والفاجر خلة..

يا بني، كن عبداً للأخيار، ولا تكن خليلاً للأشرار.

يا بني، كن غنياً تكن أميناً...

يا بني، لا تطلب من الأمر مدبراً، ولا ترفض منه مقبلاً، فإن ذلك يقلّ الرأي ويزري بالعقل.

يا بني، إن تأدبت صغيراً انتفعت كبيراً.

يا بني، إذا سافرت فلا تأمن على دابتك، فإن ذلك سريع في إدبارها، وليس ذلك من فعل الحكماء، إلا أن تكون في محل يمكنك فيه التمدد، وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك، وسر، ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك. وإياك والسفر في أول

الليل، وعليك التعريس والادلاج من نصف الليل إلى آخره. وسافر بسيفك، وخفك، وعمامتك، وكسائك، وسقائك، وإبرتك، وخيوطك، ومخرزك، وتزود من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك، وكن لأصحابك موافقاً موافياً إلا في معصية الله . .

يا بني، لا تحقرن من الأمور صغارها، إن الصغار غداً تصير كباراً.

يا بني، إياك والكذب، فإنه يفسد دينك، وينقص عند الناس مروءتك، فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك، وتهُان، ولا يُسمع منك إذا حدثت، ولا تُصدق إذا قلت، ولا خير في العيش إذا كان هكذا.

يا بني، إياك وسوءَ الخلق، والضجرَ وقلةَ الصبر، فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب، ولا يزال لك من الناس عليها مجانب، والزم نفسك التودد في أمورك، والصبر على مرارات الأحوال، وحسّن مع جميع الناس خلقك، فإن من حسن خلقه، وأظهر بشْره وبسْطه خطي عند الأبرار، وأحبه الأخيار، وجانبه الفجّار.

يا بني، لا تعلق نفسك بالهموم، ولا تشغل قلبك بالأحزان، وإياك والطمع، وأرضَ بالقضاء، واقنع بما قسم الله لك يصفُ عيشك، وتسرّ نفسك، وتستلذّ حياتك، وإن أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس،

فإنه ما بلغ الأنبياء والصديقون ما بلغوا، إلا بقطع طمعهم مما في أيدي الناس.

يا بني، إن الدنيا قليل، وعمرك فيها قليل من قليل، وقد بقي قليل من قليل القليل.

يا بني، اجعل معروفك في أهله، ولا تضعه في غير أهله، فتخسره في الدنيا، وتحرم ثوابه في الآخرة، وكن مقتصداً، ولا تكن مبذراً، ولا تمسك المال تقتيراً، ولا تعطه تبذيراً.

يا بني، الزم الحكمة تكرم بها، وأعزّها تعزّ بها، وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل.

يا بني، للحاسد ثلاث علامات: يغتابُ صاحبه إن غاب، ويتملقُ إذا شهد، ويشمتُ فيه بالمصيبة(١)».

(١) قصص الأنبياء للثعلبي، ص. ٢٤٥.

حكمته الطبية

قال صاحب روح البيان: والجمهور على أنه كان حكيمًا حكمة طب وحكمة حقيقية[1]. قال:

وأول ما روي من حكمته الطبية: أنه بينا هو مع مولاه إذ دخل المخرج، فأطال الجلوس، فناداه لقمان: إن طول الجلوس على الحاجة يتجزع منه الكبد، ويورث الناسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس. فاجلس هوينا، وقم هوينا. فخرج، فكتب حكمته على باب الحش[2].

وقال:

لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فإنه يورث الباسور[3].

(١) جـ ٣ ص ٤٨.

(٢) روح البيان جـ ٣ ص ٥٠.

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، لمحمد بن أحمد الأبشيهي المحلي جـ ٢ ص ٢٩٤.

حكمه العامّة

الحكمة رسالة إنسانية يجب تبليغها كلما سنحت الفرصة.. وكانت الحكمة تأخذ دورها في مجالس الملوك والأمراء..

فـ (يجب على الحكماء تأديب الملوك بألسنتها، وتقويم حكمتها، وإظهار الحجة البينة اللازمة لما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل)[1]. وذلك لأن للملوك سكرة كسكرة الشباب. فلا يفيق الملوك من سكرتهم إلا مواعظ العلماء وأدب الحكماء[2].

وما زالت الحكمة كذلك عند من يلتزم الأمور بجد وإخلاص.. وهذه حكم للقمان.. قالها في مناسبات شتى..

روى الإمام أحمد، عن عبد الله بن زيد قال: قال لقمان: ألا إن يد الله على أفواه الحكماء، لا يتكلم أحدهم إلا ما هيأ الله له[3].

* وقال: من كان له من نفسه واعظ كان له من الله ـ عز

---

(١) انظر كتاب كليلة ودمنة ص ٣٣.

(٢) كليلة ودمنة ص ٣٣.

(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٨.

وجل ـ حافظ. ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله تعالى بذلك عزاً، والذل في طاعة الله تعالى أقرب من التعزز بالمعصية(١).

* وقال: ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع(٢).

* وقال: من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثرغمه. ونقل الصخورمن مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم(٣).

* وعن أبي حيان قال: قال لقمان: نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أرَ شيئاً أثقل من الدين. وأكلت الطيبات وعانقت الحسان،فلم أر شيئاً ألذّ من العافية(٤).

* وقال: لا خير لك في أن تتعلم ما لم تعلم ولما تعمل بما قد علمت، فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فجعل حزمة يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى(٥).

* وقال: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء(٦).

* وقال: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا

---

(١) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.
(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.
(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣.
(٤) منهاج اليقين ص ٢١٥.
(٥) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣ ـ ٨٤.
(٦) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤.

الأخ إلا عند الحاجة إليه[1].

* وروى الإمام أحمد عن أبي نجيح عن أبيه قال: ـ يعني لقمان ـ: الصمت حكمة وقليل فاعله[2].

* وقال لقمان: إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة[3].

* وقال: إن طول الوحدةأفهم للفكر، وطول الفكر دليل على طريق الجنة[4].

* وقال: الموعظة تشف على السفيه كما يشف صعود الوعر على الشيخ الكبير[5].

* وقال: إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك. وإن كنت في الطعام فاحفظ حلقك. وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك. وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك. واذكر اثنين وانسَ اثنين. أما اللذان تذكرهما: فالله والموت. وأما اللذان تنساهما: إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك[6].

* وقال: ليس مال كصحة، ولا نعيم كطيب نفس[7].

(١) إحياء علوم الدين جـ٣ ص ١٧٩ والعقد الفريد جـ٢ ص ٢٧٨ والبيان والتبيين جـ٢ ص ٢٥١ وفي الرسالة القشيرية: أن لقمان وعظ بها ابنه ص (١١١).

(٢) كتاب الزهد ص ١٠٦. قال الإمام العراقي: روي بسند صحيح عن أنس. انظر إحياء علوم الدين ص ١٠٨ ـ ١٠٩ الهامش.

(٣) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٣٩٦.

(٤) إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٤٢٥.

(٥) المستطرف في كل فن مستظرف جـ ١ ص ٧٧.

(٦) روح البيان في تفسير القرآن جـ٣ ص ٤٨.

(٧) روح البيان جـ٣ ص ٥٠.

* وروى الإمام أحمد، عن محمد بن جحادة قال: قال لقمان: يأتي على الناس زمان لا تقرُّ فيه عين حكيم(١).

* وروى الإمام أحمد عن عكرمة قال: قال لقمان رحمه الله: إن ذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً(٢).

* وقال: ما شيء أبلُّ للجسم من اللهو(٣).

* وقال: أكلتُ المقِرَ، وأطلت على ذلك الصبر(٤).

* وقال: الإخوان ثلاثة: مخالب، ومحاسب، ومراغب.

فالمخالب: الذي ينال من معروفك ولا يكافئك، والمحاسب الذي ينيلك بقدر ما يصيب منك. والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.

* وقال: اغلب غضبك بحلمك، وهواك بتقواك. كن في الشدة وقوراً. وفي المكارة صبوراً، وفي الرخاء مشكوراً، وفي الصلاة متخشعاً، وإلى الصداقة متسرعاً.

* وقال: إذا تكلمت فأوجز، فإذا بلغت حاجتك فلا تتكلم.

---

(١) كتاب الزهد ص ١٠٤.

(٢) كتاب الزهد ص ٢١٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ١ ص ١٥٤.

(٤) المقر: الصبر. وهو هذا الدواء المر المعروف، وأمقر الشيء إذا أمرَّ. يريد أنه أكل الصبر وصبر على أكله. وقيل: المقر شيء يشبه الصبر وليس به. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن أثير الجزري جـ ٤ ص ٣٤٧.

حِكَمٌ مترجَمَة

لا شك أن أمماً كثيرة اعتنت بحكم لقمان، وترجمتها إلى لغتها، وأولتها اهتماماً كبيراً.. فأودعها بعضهم في كتبهم تتناثر في ثناياها وتزينها بفرائد الحلم والأدب والجمال. وتأخذ بعضها بلب شاعر فينفعل مع تلك الحكم ويخرجها مسبوكة مصوغة في أجمل قصيدة شعرية ذات مغزى وهدف..

وأظن أن الفرس هم أكثر من اعتنوا بأمثال هذه الأمور..

.. وكان من عادة بعض المؤلفين ـ سابقاً ـ الملمين باللغتين العربية والفارسية أن أحدهم إذا صنف كتاباً ضمنه من اللغة الفارسية أيضاً.. منتقياً في ذلك قطعة نثرية قيمة، أو أبياتاً شعرية مفيدة..

وأذكر في هذا تفسير (روح البيان) للشيخ إسماعيل حقي، الذي ضمنَّ تفسيره الكثير من هذه لحكم..

وأنا أنقل لك المعنى من ترجمة حكم لقمان التي وضعها المؤلف تفسيره من سورة لقمان:

* ـ أي بني إذا صمت فصم بقدر ما يقطع شهوتك، بحيث لا تضعف عن أداء الصلوات التي هي أعظم من

الصيام، لأن الصوم شرع لتهذيب الأخلاق والتخفيف من سورة الشهوة، فهو رياضة روحية. أما الصلاة فلإصلاح النفوس التي هي مأوى كل الشرور ومصدر كل هوى، وما عُبد إله أبغض إلى الله من الهوى.

* أي بني، إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك[1]، واحذر عقاب الله الذي سوف يحل بالظالمين إن عاجلاً أو آجلاً. وعقابه دائم لا ينقطع.

* وقيل للقمان: ممن تعلمت الأدب؟ قال: من قليلي الأدب! وذلك أني كلما رأيت أحدهم أساء التصرف في أمر من الأمور اجتنبت فعله حتى لا أبدو في نظر الآخرين مثلهم.

* أيها الولد، إذا وقع لك ما تحب وما تكره، فاحذر أن يقع في قلبك أن صلاحك في غير ما وقع لك. فقال ولده: أي والدي، ما أتعهد ذلك حتى أفهم حكمة قولك هذا. فقال والده: إذا أردت أن تعرف بيان ما قلته لك فانهض بنا إلى رسول الله ونستفسر منه عنها. فقاما وخرجا راكبين بعد أن أعدّا ما يلزمهما من الماء والزاد لطريقهما الذي يخترق صحراء شاسعة واسعة، وكان السفر طويلاً والطقس حاراً. فلما أجهدها السفر وقد سارا شوطاً بعيداً ونفد ما معهما من الماء والزاد، حطّا رحليهما ونزلا عن مركوبيهما، ومشيا راجلين حافيين، فنظر لقمان أمامه فرأى من بعيد سواداً ودخاناً، فظن في نفسه أن السواد هو الشجر، والدخان يتصاعد من عمارة

(١) يذكرنا هذا بقوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، ﴿ وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ﴾.

هناك، وأنه لا بد أن يكون ناس في ذلك المكان، واستمرا ماشيين وقد أنهكهما التعب وأخذ منهما الإعياء. فإذا بولده يدوس عظمًا، ويدخل العظم في رجله ويخرج من ظهرها. ويقع الولد على الأرض مغشياً عليه ففكر لقمان في طريقة يخرج بها العظم من رجل ولده فاهتدى إليها بأن أخرجه بأسنانه، ثم شد رجله المجروحة بقطعة من عمامة، وشدها بها، ورقَّ قلبه لألم ولده، فبكى وانهمرت الدموع من عينيه حارة ساخنة، وتقع دمعة منها على وجه ولده فينتبه من غشيته، ثم رفع رأسه إلى والده ونظر إليه وقال: أي والدي، . أنا لا زلت أفكر فيما قلته لي: (إن خيرنا فيما وقعنا فيه). فأين هذا الخير الذي أصبناه وقد نفد ماؤنا وطعامنا وبقينا في هذه الصحراء متحيرين لا تدري ماذا تفعل. . لا تستطيع أن تذهب وتتركني وحيداً في هذا المكان النائي. . وإن ذهبت ستبقى في قلبك غصة لا تفارقك أبداً، وإن بقيت إلى جانبي فلا ريب أن الموت سيكون نهايتي ونهايتك. فأين ما نحن فيه من الخير؟!

فقال الوالد: يا بني،ما قلته لك هو الصواب، فما يدريك يا ولدي،أن هناك بلاء أعظم قدوقانا الله منه بما وقعنا فيه؟

فبينما هما في هذا النقاش، ينظر لقمان بعيداً فلا يرى الدخان ولا السواد،فتساءل في نفسه: أين ما كنت أراه من السواد والدخان؟ وإذا بشخص راكب على فرس ماثل أمامه يصيح به قائلاً: أنت لقمان؟ فأجابه بنعم. فقال: أنت حكيم؟ قال: هكذا يقولون. . ! قال: هذا الولد لا عقل له

ماذا يقول؟ لولا ما وقعتما فيه من الضنك والبلاء لكنتما الآن تحت الأرض مثلما جرى لمن كان قبلكم[١]. فقال لقمان عندئذ لابنه: يا بني، أعلمت صحة ما قلته لك بأن أي شيء يقع للعبد مما يحب أو يكره فله في ذلك الخير والصلاح!!. ثم قاما وعادا أدراجهما من حيث جاءا.

وهذه حكاية لقمان الحكيم مع البغدادي لـ (سعدي الشيرازي) في ترجمة شعرية عن الأصل الفارسي وضعها الأستاذ الشاعر محمد الفراتي:

قد كان لقمان كجنح الحندس[٢] أسود معروقاً زري الملبس
شُبِّه لامرىء له عبدٌ أبقْ فاقتاده يعمل بالطين اللَّثقْ[٣]
أذاقه جوراً وقهراً وبلا حتى بنى له بعام منزلا
وحين عاد عبده الذي هربْ أُرعد من لقمان خوفاً واضطرب
أبدى للقمان اعتذاراً وندمْ أجاب: ما العذر مفيد وابتسم

---

(١) ربما كان من الراجح أن ابن لقمان كان كافراً. فدعاه أبوه إلى الإيمان، بنصائحه المخلصة التي تخرج من صدر أب يكنّ لولده الرحمة والشفقة، وما زال به حتى آمن.
وهو هنا يشير إلى أنه كان من المحتمل أن يخسف الله به الأرض نتيجة كفره كما حصل لأقوام سبقوهم ولاسيما وهو في حال امتحان، فصرف الله ذلك عنهم بهذا البلاء الذي جرى لهما.

(٢) الليل الشديد الظلمة. انظر المعجم الوسيط.

(٣) الوحل.

أجَوْرُ عام منك أدمى كبدي　　يخرجه العذر بساعٍ فارشُدِ

معْ كل هذا قد عفوتُ فافهم　　إذ منك قد علمت ما لًم أعلم

أنت استفدتَ منزلاً بذي الضعة　　كما استفدتُ حكمةً ومعرفة

بين عبيـدي ليَ عبد أحمقُ　　عليه كم قسوتُ وهْو يُطرقُ

فلست أوذيه غداً حتى الأجلْ　　إذ أذكرُ الطين وقسوةَ العمَلْ

من لم يُطقْ جور القوي فاعلمِ　　فليس يـدمي قلبـه لمعـدمِ

وإن تر الحاكم صعباً عاتياً　　فلا تكن على الضعيف قاسياً

---

(١) انظر كتاب (البستان) تأليف سعدي الشيرازي، ترجمه شعراً: محمد الفراتي القسم الثاني ص: ٦٤ ـ ٦٦. مطابع وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٦٩.

الفصل الخامس

تفسير الآيات (١٢-١٩) من سورة لقمان

تمهيد

لقمان شخصية تاريخية قديمة. كتب لاسمه ولبعض حكمه البقاء إلى عصرنا هذا.. ويضرب بلقمان المثل في الحكمة.. حتى أصبح لفظ (الحكيم) مقترناً باسمه دائماً.. ويقال في المثل: (أحكم من لقمان)(١).

وقد سئل علي بن أبي طالب: من لكم بمثل لقمان الحكيم؟ علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول وقرأ الكتاب الآخر، وكان بحراً لا ينزف(أ).

وقيل لعثمان: مالك لا تكون مثل عمر؟ قال: لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم(ب). وقال بعض الشعراء مادحاً:

---

(١) انظر مجمع الأمثال جـ ١ ص ٢٢٢.

أ ـ كتاب طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٥ـ ٨٦ طبعة دار صادر ١٣٨٨هـ.

ب ـ العقد الفريد جـ ٥ ص ٢١.

فصاحة سحبان[١] وخط ابن مقلة[٢]
وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم[٣]

ومدح أعرابي داود بن المهلب فقال:

له حكم لقمان وصورة يوسف ... وملك سليمان وعدل أبي بكر[٤]

وأنشد الأصمعي لأبي الرقاع:

خزاعية الأطراف كندية الحشى ... نزارية العينين طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف ... ونغمة داود وعفة مريم[٥]

وحكمه ـ رغم قدمها ـ لم تفقد قيمتها الإنسانية والاجتماعية والأدبية والنفسية.. ذلك لأنها تخاطب أكثر ما تخاطب النفس البشرية.. وكأن لقمان طبيب لها، فهو يخاطبها من وراء حجاب شفاف.. ويعلم داءها ودواءها..

---

(١) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من باهلة: خطيب يضرب به المثل في البيان. يقال: (أخطب من سحبان) و(أفصح من سحبان). اشتهر في الجاهلية وعاش زمناً في الإسلام. وكان إذا خطب يسيل عرقاً، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يعقد حتى يفرغ. أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به، وأقام في دمشق أيام معاوية وله شعر قليل وأخبار. توفي سنة (٥٤) هـ.انظر الأعلام للزركلي جـ ٣ ص ٧٩ الطبعة الرابعة ١٩٧٩.

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة أبو علي، وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل ولد في بغداد .. استوزره المقتدر العباسي، ثم القاهر بالله.. ثم الراضي بالله. ولد سنة (٢٧٢) وتوفي سنة (٣٢٨). انظر الأعلام جـ ٦ ص ٢٧٣.

(٣) يعني شيخ الصوفية إبراهيم بن أدهم.

(٤) انظر العقد الفريد جـ ١ ص ١٢٥٧.

(٥) منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ص ٢٨٢.

وإذا كـانت حكمه لم تصـل إلينا صحيحـة سليـمة من الشوائب، فإن هناك حكمًا له ونصائح، سجلها القرآن الكريم بأسلوبه ومعانيه المعجزة. فخرجت لنا بيضاء ناصعة تشعُّ بياناً وإعجازاً..

وما أكثر ما يعظ الناس ويرشدون.. وهم أكثر ما يكونون وعظاً وإرشاداً بنية سليمة وإخلاص تام، لأبنـائهم وفلذات أكبادهم الذين هم امتدادٌ لهم..

وهذا لقمان.. الأب الشفوق الحكيم.. يرى ابنه البالغ الفاره.. فينظر إليه نظرة رحمة وإشفاق، ومن أجـل أن لا يتردى في مهاوي الزيغ والضلال، يعظه وعظاً جامعاً مانعاً، ويخرج له عصارة الحكم وأمهات المواعظ من سويداء قلبه إلى مهجة فؤاده.. من القلب إلى القلب.. ويقف البيان عاجزاً أمام هذا الأسلوب البليغ الذي حوره القرآن العظيم، وتخضع العقول لهذه الروائع التي يسبكها القرآن في تركيبه المعماري الفريد.. للتفكر والاعتبار..

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

«ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله. ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد (١٢). وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم» (١٣).

---

(١) سميت السورة باسم لقمان لذكر قصته فيها.. وذكر في سبب نزولها أن قريشاً سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بر والديه فنزلت. انظر تفسير البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٣ وروح المعاني جـ ٢١ ص ٦٥.

«ولقد آتينا لقمان»:

اختلف في نسبه، وكذا في مهنته، ومن عاصر، وهل هو نبي أم حكيم؟ والجمهور على أنه حكيم وليس نبياً[1].

«الحكمة»:

أخرج ابن مردويه، عن ابن عباس: أنها العقل والفهم والفطنة[2]. وأخرج الإمام أحمد، عن مجاهد: أنها العفة والإصابة في القول في غير نبوة[3].

وقال أبو حيان التوحيدي: الحكمة: المنطق الذي يتعظ به ويتنبه به ويتناقله الناس لذلك[4].

(١) انظر التفاسير، وراجع ما سبق من الحديث عنه. ولم ينصرف «لقمان» لأن في آخره ألفاً ونوناً زائدتين، فأشبه (فُعلان) الذي أنثاه (فُعلى) فلم ينصرف في المعرفة، لأن ذلك ثقل ثان. وانصرف في النكرة لأن أحد الثقلين قد زال. قاله النحاس. انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٥٩.

(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٣. وراجع معنى الحكمة فيما سبق. وقيل: ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم. انظر إحياء علوم الدين جـ ٣ ص ١٧٣.

(٣) كتاب الزهد ص ٤٩.

(٤) البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦.

«أن اشكر لله»:

أي: أمرناه أن يشكر الله - عز وجل - على ما آتاه الله ومنحه، ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه.[١] وذهب معظم المفسرين إلى أنَّ (أنْ) هنا تفسيرية.. إلا أن أبا حيان نقل قول الزجّاج وهو أن المعنى: ولقد آتينا لقمان الحكمة لأن يشكر الله. فجعلها مصدرية لا تفسيرية[٢].

وقد نبه الله تعالى على أن الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بها، وعبادة الله والشكر له. حيث فسَّر إيتاء الحكمة بالحث على الشكر.. وقال السري السقطي: الشكر ألاّ نعصي الله بنعمه. وقال الجنيد: ألا نرى معه شريكاً في نعمه. وقيل: هو الإقرار بالعجز عن الشكر. والحاصل أن شكر القلب المعرفة، وشكر اللسان الحمد، وشكر الأركان الطاعة، ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل[٣]. ويقول العلامة القاسمي:

الشكر كلمة تجمع ما تدور عليه سعادة الدنيا والآخرة، لأنه صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه إلى ما خلق لأجله[٤].

والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٤.

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي جـ ٧ ص ١٨٦.

(٣) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٠ المكتبة الأموية - مكتبة الغزالي.

(٤) انظر تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) تأليف علامة الشام: محمد جمال الدين القاسمي: (١٢٨٣ -١٣٣٢) جـ ١٣ ص ٤٧٩٦ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

فيما يكره. هذه الخمسة هي أساس الشكر وبناؤه عليها. فإن عد نها واحدة، اختلّت قاعدة من قواعد الشكر. وكل من تكلم في الشكر فإن كلامه إليها يرجع وعليها يدور(١).

والآية توجيه قرآني ضمني إلى شكر الله اقتداء بذلك الرجل الحكيم المختار الذي يعرض قصته وقوله،وإلى جوار هذا التوجيه الضمني توجيه آخر. فشكر الله إنما هو رصيد مدخور للشاكر ينفعه هو، والله غني عنه. فالله محمود بذاته، ولو لم يحمده أحد من خلقه.. وأحمق الحمقى هو من يخالف عن الحكمة ولا يدخر لنفسه مثل ذلك الرصيد(٢). قال تعالى:

«ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه»:

لأن نفعه من ارتباط القيد واستجلاب المزيد والفوز بجنة الخلود مقصورة عليها(٣).

«ومن كفر فإن الله غني حميد»:

أي: ومن جحد النعمة فإن الله غير محتاج إلى الشكر ليتضرر بكفر من كفر. «حميد»: حقيق بالحمد إن لم يحمده أحد، أو محمود بالفعل ينطق بحمده تعالى جميع المخلوقات بلسان الحال(٤).

وربما تساءل المرء عن سبب اختيار صيغة الماضي في آخر الآية بعد أن كانت مضارعة. والجواب: أن ذلك (إشارة إلى

---

(١) تفسير القاسمي جـ ١٣ ص ٤٧٩٧.

(٢) انظر (في ظلال القرآن) سيد قطب جـ ٦ ص ٤٨٣ الطبعة الخامسة.

(٣) انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤.

(٤) انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤ مع بعض التصرف.

قبح الكفران وأنه لا ينبغي إلا أن يعد في خبر كان. وقيل: إشارة إلى أنه كثير متحقق بخلاف الشكر: «وقليل من عبادي الشكور»[١]. وقال الإمام الرازي في هذا المعنى:

قال في الشكر: «ومن يشكر» بصيغة المستقبل، وفي الكفران: «ومن كفر فإن الله غني» وإن كان الشرط يجعل الماضي والمستقبل في معنى واحد، كقول القائل: من دخل داري فهو حر. ومن يدخل داري فهو حر. فنقول: فيه إشارة إلى معنى وإرشاد إلى أمر. وهو أن الشكر ينبغي أن يتكرر في كل وقت لتكرار النعمة. فمن شكر ينبغي أن يكرر. والكفر ينبغي أن ينقطع. فمن كفر ينبغي أن يترك الكفران. ولأن الشكر من الشاكر لا يقع بكماله، بل أبداً يكون منه شيء في العدم، يريد الشاكر إدخاله في الوجود كما قال: «رب أوزعني أن اشكر نعمتك»[٢] وكما قال تعالى: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»[٣] فأشار إليه بصيغة المستقبل تنبيهاً على أن الشكر بكماله لم يوجد. وأما الكفران فكل جزء يقع منه تام، فقال بصيغة الماضي[٤].

«وإذْ»: في موضع نصب، بمعنى اذكر[٥].

«قال لقمان لابنه»:

---

(١) انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤.

(٢) النمل: (١٩) والأحقاف (١٥).

(٣) ابراهيم: (٣٤) والنمل (١٨).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٥.

(٥) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٢.

اختلف في اسم ابنه أيضا. فقيل: هو (أنعم) وقيل: (أشكم)[١]. وهنا يوصي الأب ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه،فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف[٢].

«**وهو يعظه**»:

والوعظ: زجر مقترن بتخويف .. أو تذكير بالخير فيما يرق لهُ القلب[٣]. وإنها لفظةٌ غير متهمة؛ فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحاً[٤].

«**يا بني**»:

تصغير إشفاق ومحبة لا تصغير تحقير[٥].

«**لا تشرك بالله**»:

قيل: كان ابنه كافراً ولذا نهاه عن الشرك فلم يزل يعظه حتى أسلم[٦]. وقيل: كان مسلمًا. والنهي عن الشرك تحذير له عن صدورهِ منه في المستقبل[٧].

«**إن الشرك لظلمٌ عظيم**»:

---

(١) انظر تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣١ والكشاف جـ ٢ ص ١٩٥. وقال السهيلي: اسم ابنه (ثاران) في قول ابن جرير والقتيبي. وقال الكلبي: (مشكم)... وقيل: (ماتان). وأنعم هو قول النقاش. انظر فتح البيان جـ ٧ ص ٢٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٤.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤.

(٤) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٣.

(٥) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٤.

(٦) تفسير الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٩ وروح المعاني جـ ٢١، ص ٨٥.

(٧) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٥.

والظاهر أن هذا من كلام لقمان، ويقتضيه كلام مسلم في صحيحه[1]. . وقيل: هو خبر من الله ـ تعالى شأنه ـ منقطع عن كلام لقمان، متصل به في تأكيد المعنى وكون الشرك ظلمًا لما فيه من وضع الشيء في غير موضعه، وكونه عظيمًا لما فيه من التسوية بين من لا نعمة إلا منه، ومن لا نعمة له[2].

وقال الإمام الرازي: أما أنه ظلم فلأنه وضع للنفس الشريف المكرم بقوله: «ولقد كرمنا بني آدم» في عبادة الخسيس، أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها، وهي غير وجه الله وسبيله. وأما أنه عظيم فلأنه وضع في موضع ليس موضعه، ولا يجوز أن يكون موضعه. وهذا لأن من يأخذ مال زيد ويعطي عمراً يكون ظلمًا من حيث أنه وضع مال زيد في يد عمرو، ولكن جائز أن يكون ذلك ملك عمرو، أو أن يصير ملكه ببيع سابق أو بتمليك لاحق، وأما الإشراك فوضع المعبودية في غير الله تعالى، ولا يجوز أن يكون غيره معبوداً أصلاً[3].

لما نزلت: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» شق ذلك على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إنه ليس بذلك. ألا تسمع لقول لقمان: «يا بني لا تشرك

(١) تفسير البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٦ وروح المعاني جـ ٢١ ص ٨٥.
(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٥.
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٦.

بالله إن الشرك لظلم عظيم»[1]؟

قال الإمام النووي: لما شق عليهم أنزل الله تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم». وأعلم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الظلم المطلق هناك المراد به هذا المقيد وهو الشرك. فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك: ليس الظلم على إطلاقه وعمومه كما ظننتم، إنما هو الشرك كما قال لقمان لابنه؛ فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حملوا الظلم على عمومه، والمتبادر إلى الأفهام منه وهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو مخالفة الشرع، فشق عليهم إلى أن أعلمهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمراد بهذا الظلم[2]. قال الخطابي: إنما شق عليهم لأن ظاهر الظلم الافتيات بحقوق الناس وما ظلموا به أنفسهم من

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١ ص (٨١ ـ ٨٢) وجـ ٨ ص (٣٩٤ ـ ٣٩٥) وإرشاد الساري جـ ١ ص (١١٧ ـ ١١٨) وصحيح مسلم جـ ٢ ص ١٤٣ والتاج الجامع للأصول جـ ٤ ص ٢٠٢ و١١٣. وقال الشيخ منصور علي ناصف: والمراد بالظلم الشرك الجلي والخفي. انظر التاج جـ ٤ ص ١١٣ و٢١٢. والشرك الخفي هو الرياء. سواء قصد بعبادته غير الله مع الله تعالى. أو قصد بعبادته الناس فقط وينسى الله تعالى. قال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ فقلنا: بلى يا رسول الله. فقال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل». وفي رواية: «أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله، أما إني لست أقول: يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله، وشهوة خفية». وفي رواية: «لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من خردل من رياء». روى الثلاثة المنذريُّ في الترهيب. انظر التاج الجامع للأصول ـ الهامش جـ ١ ص ٥٧.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٤٣.

ارتكاب المعاصي، فظنوا أن المراد معناه الظاهر، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه. ومن جعل العبادة لغير الله تعالى فهو أظلم الظالمين. وفي هذا الحديث جمل من العلم منها: أن المعاصي لا تكون كفراً. والله أعلم.

ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير[١٤] وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون[١٥].

«ووصينا الإنسان بوالديه»:

كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيه من النهي عن الإشراك. فهو من كلام الله ـ عز وجل ـ لم يقله ـ سبحانه ـ للقمان. وقيل: هو كلامه تعالى قاله جل وعلا له، وكأنه قيل: قلنا له: اشكر. وقلنا له: «ووصينا الإنسان...». والمعنى: وأمرنا الإنسان برعاية والديه[1].

(وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم، وفي وصايا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً. ومعظمها في حالة الوأد ـ وهي حالة خاصة في ظروف خاصة ـ ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه. فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشىء لضمان امتداد الحياة، كما يريدها الله، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، وفي غير تأفف ولا شكوى؛ بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما

(١) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٥ مع بعض الحذف.

هما اللذان يأخذان. فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة! فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولي الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما)[١].

«حملته أمه وهناً على وهن»:

قال عطاء الخراساني: ضعفا على ضعف. وقال قتادة: جهداً على جهد. وقال مجاهد: مشقة وهن الولد[٢]. والأقوال متقاربة تبين مدى تعب ومشقة الأم مع جنينها وأثناء الولادة. (وأياً ما كان، فالمراد: تضعف ضعفاً متزايداً بازدياد ثقل الحمل إلى مدة الطلق. وقيل: ضعفاً متتابعاً، وهو ضعف الحمل، وضعف الطلق، وضعف النفاس)[٣].

«وفصاله في عامين»:

الفصال: التفريق بين الصبي والرضاع. ومنه: الفصيل، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه. و (العام): السنة. لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الشدة والجدب. ولذا يعبر

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٥ بتصرف. يقول الإمام الزمخشري: «وهناً على وهن» كقولك رجع عوداً على بدء.. بمعنى يعود عوداً على بدء. وهو في موضع الحال. والمعنى: أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف. أي: يتزايد ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلاً وضعفاً. الكشاف جـ ٢ ص ٢٩٥.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٥.

عن الجدب بالسنة، والعام فيما فيه الرخاء. أي: فطام الإنسان من اللبن يقع في تمام العامين من وقت الولادة[١].

ومعنى الآية: أي: تربيته وارضاعه بعد وضعه في عامين، كما قال تعالى: «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة» ومن ههنا، استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، لأنه قال في الآية الأخرى: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»[٢].

يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت: ما معنى توقيت الفصال بالعامين؟ (قلت): المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز. والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم إن علمت أنه يقوى على الطعام فلها أن **تفطمه**[٣]. وقال الإمام القرطبي:

لما خصَّ تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل، وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب وللأب واحدة، وأشبه ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال له رجل: «من أبرّ؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال

---

(١) روح البيان جـ٣ ص ٥١.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٤٥. وظاهر الآية أن مدة الرضاع عامان. وإلى ذلك ذهب الإمام الشافعي، والإمام أحمد، وأبو يوسف، ومحمد وهو: مختار الطحاوي وروي عن مالك. وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن مدة الرضاع الذي يتعلق به التحريم ثلاثون شهراً لقوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٦.

(٣) الكشاف جـ٢ ص ١٩٥.

أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك». فجعل له الربع من المبرة كما في هذه الآية[1]

وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلاً ونهاراً ليذكر الولد بإحسانه المتقدم إليه كما قال تعالى: «وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً»[2].

«أن اشكر لي ولوالديك»:

تفسير لوصينا كما اختاره النحاس[3].

واختلف في المراد بالشكر المأمور به. فقيل: هو الطاعة وفعل ما يرضي كالصلاة والصيام بالنسبة إليه تعالى، وكالصلة والبر بالنسبة إلى الوالدين. وعن سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبارها فقد شكرهما، ولعل هذا بيان لبعض أفراد الشكر[4].

قال صاحب روح البيان: وشكر الحق بالتعظيم والتكبير، وشكر الوالدين بالإشفاق والتوقير[5]. وقيل: الشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية[6].

وروى الحافظ أبو بكر البزار في مسنده - بإسناده - عن بريدة، عن أبيه: أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه، يطوف بها،

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٤. والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٥.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٦.

(٤) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٦ - ٨٧.

(٥) روح البيان في تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقي جـ ٣ ص ٥٢.

(٦) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٥.

فسأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: هل أديت حقها؟ قال: «لا ولا بزفرة واحدة»[1]. وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أمي هرمت فأطعمها بيدي وأسقيها وأضئها وأحملها على عاتقي فهل جازيتها حقها؟ قال عليه السلام: لا ولا واحدة من مائة. قال: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنها خدمتك في وقت ضعفك مريدة حياتك وأنت تخدمها مريداً مماتها، ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً[2]. ولله درُّ من قال:

لأمك حق لو علمت كبير | كثيرك ـ يا هذا ـ لديه يسيرُ
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي | لها من جراها أنةٌ وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة | فمن غصص لها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها | وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها | ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها | حنواً وإشفاقاً وأنت صغير
فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى | وآهاً لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها | فأنت لما تدعو به لفقير[3]

«إلي المصير»: أي: مصيرك إلي وحسابك علي[4]. فإني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء[5].

«وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٤.
(٢) روح البيان جـ ٣ ص ٥٢.
(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٦.
(٤) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣١
تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٥.

تطعهما»: أي: إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك(١). لأن رابطة الوالدين بالوليد - على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة- إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة. ويسقط واجب الطاعة إلى هنا، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة. فمهما بذل الوالدان من جهد ومن جهاد، ومن مغالبة ومن إقناع ليغرياه بأن يشرك بالله ما يجهل ألوهيته - وكل ما عدا الله لا ألوهية له فتعلم - فهو مأمور بعدم الطاعة من الله صاحب الحق الأول في الطاعة(٢). وأراد بنفي العلم به نفيه(٣). أي: وإن جاهدك الوالدان على أن تكفر بي كفراً ليس لك، أو الكفر الذي ليس لك بصحته أو بحقيقته علم فلا تطعهما في ذلك. والمراد استمرار نفي العلم، لا نفي استمراره، فلا يكون الإشراك إلا تقليداً(٤).

وقال الطيبي: هو من باب نفي الشيء بنفي لازمه، وذلك أن العلم تابع للمعلوم. فإذا كان الشيء معدوماً لم يتعلق به موجوداً(٥). ويقول الإمام الزمخشري: أي: لا تشرك بي ما ليس بشيء - يريد الأصنام- كقوله تعالى: «ما يدعون من دونه من شيء»(٦). وذكر هذا القيد موافقة للواقع. ولا مفهوم له، إذ

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٥.
(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٥ بتصرف يسير.
(٣) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣-.
(٤) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٧.
(٥) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٧.
(٦) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٥.

ليس لله شريك يعلم، لأنه مستحيل[1].

وقد تضمنت الآية النهي عن صحبة الكفار والفساق، والترغيب في صحبة الصالحين، فإن المقارنة مؤثرة والطبع جذاب والأمراض سارية[2].

«وصاحبهما في الدنيا معروفاً»:

أي: صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروءة. كإطعامهما وإكسائهما وعدم جفائهما وانتهارهما، وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما إذا ماتا. وذكر «في الدنيا» لتهوين أمر الصحبة، والإشارة إلى أنها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء. فلا يضرّ تحمل مشقتها لقلة أيامها وسرعة انصرامها. وقيل: للإشارة إلى أن الرفق بهما في الأمور الدنيوية دون الدينية[3]. قال صاحب روح البيان: فيجب على المسلم نفقة الوالدين ولو كانا كافرين، وبرّهما وخدمتهما وزيارتهما إلا أن يخاف أن يجلباه إلى الكفر وحينئذ يجوز أن **لايزورهما**[4]...

فالآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا كافرين. وإلانةُ القول والدعاء إلى الإسلام برفق، وقد قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق للنبي -عليه الصلاة والسلام- وقد قدمت عليها خالتها، وقيل: أمها من الرضاعة. فقالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت علي وهي راغبة

---

(١) فتح البيان جـ ٧ ص ٢٨٣.

(٢) روح البيان جـ ٣ ص ٥٨.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٧.

(٤) روح البيان جـ ٣ ص ٥٢.

أفأصلها؟ قال: نعم. وراغبة قيل:معناه عن الإسلام. قال ابن عطية: والظاهر عندي أنها راغبة في الصلة، وما كانت لتقدم على أسماء لولا حاجتها. ووالدة أسماء هي قُتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد. وأم عائشة وعبد الرحمن هي:أم رومان، قديمة الإسلام(١).

وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات، ويستحسن في ترك الطاعات الندب، ومنه أمر الجهاد الكفاية والإجابة ملازم في الصلاة مع إمكان الإعادة، على أن هذا أقوى من الندب، لكن يعلل بخوف هلكة عليها، ونحوه مما يبيح قطع الصلاة، فلا يكون من الندب. وخالف الحسن في هذا التفصيل فقال: إن منعته أمه من شهود العشاء شفقة فلا يطعها(٢).

«**واتبع سبيل من أناب إلي**»: أي:واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما في الدنيا(٣). وقال الإمام الرازي: واتبع سبيل النبي ـ عليه السلام ـ بعقلك فإنه مربي عقلك كما أن الوالد مربي جسمك(٤).

وحكى النقاش أن المأمور سعد، والذي أناب أبو بكر، وقال: إن أبا بكر لما أسلم أتاه سعد،وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان، وطلحة،وسعيد،والزبير فقالوا: آمنت؟ قال: نعم،

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٥.
(٢) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٤.
(٣) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٢.
(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٧.

فنزلت فيه: «أم من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه»[1]. فلما سمعها الستة آمنوا، فأنزل الله تعالى فيهم: «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى» إلى قوله: «أولئك الذين هداهم الله»[2].

«**ثم إلي مرجعكم**»: أي: مرجعك ومرجعهما[3].

«**فأنبئكم بما كنتم تعملون:**»: فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما[4].

نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص[5]. قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد، ما هذا الذي أراك قد أحدثت؟ لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيرّ بي فيقال: يا قاتل أمه. فقلت: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثت يوماً وليلة لم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء. فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي. فأكلت[6].

---

(١) الزمر: (٩).

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٦ والآية الأخيرة في سورة الزمر (١٧).

(٣) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٢.

(٤) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٢.

(٥) كما رواه أبو يعلى، والطبراني، وابن مردويه، وابن عساكر. انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٧. قال الإمام القرطبي: وعليه جماعة المفسرين جـ ١٤ ص ٦٣.

(٦) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٥.

يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إن الله لطيف خبير[١٦]. يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور[١٧] ولا تصعرِ خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً، إن الله لا يحب كل مختال فخور[١٨] واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير[١٩].

«يا بني إنها»: أي: الخصلة من الإساءة والإحسان[١].

«**إن تك مثقال** » المثقال: ما يقدر به غيره[٢] وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة كما قال: * كما شرقت صدر القناة من الدم *[٣].

«**حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض**»: أي: فتكن مع كونها في أقصى غايات الصغر والقماءة، في أخفى مكان وأحرزه، كجوف صخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي[٤] وقد روي: أن ابن لقمان قال له: أرأيت الحبة تكون في مقل البحر (أي: مغاصه) يعلمها الله؟ فقال: إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة[٥]. قال العلامة القاسمي: الآية من البديع الذي يسمى التتميم فإنه تمم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة، وهو من

(١) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٨.
(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٨.
(٣) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٦.
(٤) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٨.
(٥) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٦.

وادي قولها: *كأنه علم في رأسه نار*[١].

«يأت بها الله»: أي: يحضرها فيحاسب عليها[٢]. وقال ابن كثير في تاريخه: ينهاه عن ظلم الناس ولو بحبة خردل. فإن الله يسأل عنها ويحضرها حوزة الحساب ويضعها في الميزان[٣]. ويقول الإمام القرطبي: أي: لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع، جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، أي: لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض وعن اتباع سبيل من أناب إلي. قلت ـ الكلام للقرطبي ـ: ومن هذا المعنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبد الله ابن مسعود: «لا تكثر همَّك، وما يقدّر يكن، وما ترزق يأتك»[٤].

وقد نطقت هذه الآية بأن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عدداً، سبحانه لا شريك له[٥].

وقيل: المعنى أنه أراد الأعمال، المعاصي والطاعات: أي: أن تلك الحسنة، أو الخطيئة مثقال حبة يأت بها الله؛ أي: لا تفوت الإنسان المقدر وقوعها منه[٦].

---

(١) تفسير القاسمي جـ ١٣ ص ٤٨٠١.

(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٩. ويذكر ان ابن لقمان قال لأبيه: يا أبت، إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال لقمان: «يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة...» فما زال ابنه يضطرب حتى مات. قاله مقاتل. انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٧.

(٣) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٥.

(٤) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٦.

(٥) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٦.

(٦) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٧.

و« يأت بها الله» أبلغ من قول القائل: يعلمها الله. لأن من يظهر له الشيء ولا يقدر على إظهاره لغيره يكون حاله في العلم دون حال من يظهر له الشيء ويظهره لغيره[١]. وقال ابن كثير في تفسيره: وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: «فتكن في صخرة» أنها صخرة تحت الأرضين السبع[٢]. نقل ذلك عن ابن مسعود،وابن عباس،وجماعة من الصحابة إن صح ذلك.. قال: هذا ـ والله أعلم ـ كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه.. كما قال عليه الصلاة والسلام: «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان»[٣].

والآية نكرة غير معرفة، فلو كان المراد بها ما قالوه لقال: فتكن في الصخرة. وإنما المراد فتكن في صخرة، أي صخرة كانت[٤].

(وما يبلغ تعبير مجرد عن دقة علم الله وشموله، وعن قدرة

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٨.

(٢) وذكرت أقوال أخرى غريبة في هذه الصخرة نقلها العلامة الآلوسي في تفسيره. قال فيها ابن عطية: وكل ذلك ضعيف لا يثبت سنده. وقال العلامة الآلوسي: والأقوى عندي وضع هذه الأخبار ونحوها. انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) انظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٤٦ والحديث أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري.

(٤) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٥.

الله ـ سبحانه ـ وعن دقة الحساب وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير المصور. حبة من خردل. صغيرة ضائعة لا وزن لها ولا قيمة «فتكن في صخرة».. صلبة محشورة فيها لا تظهر ولا يتوصل إليها «أو في السموات».. في ذلك الكيان الهائل الشاسع الذي يبدو فيه النجم الكبير ذو الجرم العظيم نقطة سابحة أو ذرة تائهة. «أو في الأرض» ضائعة في ثراها وحصاها لا تبين. «يأت بها الله».. فعلمه يلاحقها وقدرته لا تفلتها)[١].

«**إن الله لطيف**»: يصل علمه تعالى إلى كل خفي[٢].

«**خبير**»: عالم بكنهه[٣]. وهو تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف..

ويظل الخيال يلاحق تلك الحبة من الخردل في مكامنها تلك العميقة الوسيعة، ويتملى علم الله الذي يتابعها. حتى يخشع القلب وينيب إلى اللطيف الخبير بخفايا الغيوب. وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب بهذا الأسلوب العجيب[٤].

ويمضي السياق في حكاية قول لقمان لابنه وهو يعظه، فإذا هو يتابع معه خطوات العقيدة بعد استقرارها في الضمير بعد الإيمان بالله لا شريك له؛ واليقين بالآخرة لا ريب فيها؛

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٦.
(٢) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٩.
(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٨٩.
(٤) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٦.

والثقة بعدالة الجزاء لا يفلت منه مثقال حبة من خردل. . فأما الخطوة التالية فهي التوجه إلى الله بالصلاة، والتوجه إلى الناس بالدعوة إلى الله،والصبر على تكاليف الدعوة ومتاعبها التي لا بد أن تكون[1] . «**يا بني أقم الصلاة**»: أي: بحدودها وفروضها وأوقاتها[2]. وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئتها اختلفت[3].

«**وأمر بالمعروف وانه عن المنكر**»: أي: بحسب طاقتك وجهدك، إن استطعت باليد فباليد وإلا فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك[4]. ويقول الشيخ محمد مصطفى المراغي أثناء تفسيره للآية: وطلب منه أن يكون خيراً نافعاً للخلق، وعضواً مفيداً في الجماعة الإنسانية، وذلك بأن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار الجماعة الفاضلة، وإذا فقد من أمة فقدت منها صفات الخير وضرّت على الشر، وهو واجب على كل واحد لكل واحد. وقد نبه الله-سبحانه-عليه في آيات كثيرة من آي القرآن الكريم: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[5]. «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٦.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٦.
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٤٨.
(٤) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٥.
(٥) آل عمران: (١٠٤).

المنكر»[1]. «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»[2].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثر من آثار الإيمان، وأثر من آثار حب الفضيلة، وأساس من أسس صلاح المجتمع الإنساني، وهو يوقظ الشعور، وينبه الضمير، ويخيف المقدم على المنكر، وإذا تضامن الناس في ذلك كما هو الواجب شرعاً وجد تضامن من الناس على الفضيلة، فلا تضيع بينهم، ووجد تضامنهم على استنكار الرذيلة، فلا توجد بينهم. وتضامن الفضيلة قد يوجد عند الأمم التي لا تدين بدين، فيوجد عندها الطهر والشرف، وقد تفقد الأمم التي تدين بدين فتستحق لعنة الله!

«**واصبر على ما أصابك**»: علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر[3]. ويجوز أن يكون عاماً في كل ما يصيبه من المحن، وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر[4]. وقيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها، وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عز وجل. وهذا قول حسن، لأنه يعم[5].

---

(١) آل عمران: (١١٠).
(٢) المائدة: (٧٩).
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٦.
(٤) الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ١٩٦.
(٥) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٨.

ووجه تخصيص هذه الطاعات أنها أمهات العبادات وعماد الخير كله[1].

«إن ذلك»: أي: الصبر على أذى الناس[2].

«من عزم الأمور»: أي: قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم والتصميم[3].

ويفسرها الإمام الزمخشري بقوله: مما عزمه الله من الأمور، أي: قطعه قطع إيجاب وإلزام، ومنه الحديث: «لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» أي: لم يقطعه بالنية. وقولهم: عزمة من عزمات ربنا[4]. ويقول ابن عباس: من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره[5].

ويستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها القرآن هنا إلى أدب الداعية إلى الله. فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس، والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير. ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخـير أقبح وأرذل[6].

«ولا تصعر خدك للناس»: يقول: لا تعرض بوجهك

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن جـ ٧ ص ٢٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٦.

(٣) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٧.

(٤) وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله (من عازمات الأمور) أي: مقطوعاتها ومفروضاتها. ويجوز أن يكون مصدراً في معنى الفاعل، أصله (من عازمات الأمور) من قوله تعالى: ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾. انظر الكشاف جـ ٢ ص ١٩٦.

(٥) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٦٩.

(٦) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٧.

عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم. ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم[1]. (والصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها. والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر. حركة الكبر والازورار وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار)[2].

عن أبي أيوب الأنصاري: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن قوله: «ولا تصعر خدك» فقال: «ليُّ الشدق»[3].

وقال الإمام الزمخشري: (... ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون)[4]. وذهب مجاهد إلى أن المراد به هو الإعراض كهجره، بسبِّ أخيه[5]. وجاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر». والأصعر: المعرض بوجهه كبراً؛ وأراد رُذالة الناس الذين لا دين لهم. وفي الحديث: «كل صعار ملعون» أي: كل ذي أبهّة وكبر[6]. وقيل في المعنى: هو أن تلوي شدقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره؛ فالمعنى: أقبل عليهم متواضعاً مؤنساً مستأنساً، وإذا حدثك أصغرهم فاصغِ إليه حتى يكمل حديثه. وكذلك

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٦.

(٢) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٧.

(٣) أخرجه الطبراني وابن عدي وابن مردويه. انظر فتح البيان في مقاصد القرآن جـ ٧ ص ٢٨٦.

(٤) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٦.

(٥) البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٨.

(٦) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٧٠.

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفعل.. قلت: ومن هذا المعنى ما رواه مالك، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». فالتدابر: الإعراض وترك الكلام والسلام ونحوه، وإنما قيل للإعراض: تدابر. لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك، وكذلك يصنع هو بك. ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسرّه ويسرّك، فمعنى التدابر موجود فيمن صعّر خده، وبه فسَّر مجاهد الآية(١).

«**ولا تمش في الأرض مرحاً**»: أي: خيلاء متكبراً جباراً عنيداً. لا تفعل ذلك يبغضك الله(٢). قال تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾.

وقد أوقع المصدر موقع الحال بمعنى «مرحاً» ويجوز أن يريد: لا تمش لأجل المرح والأشر، أي: لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر، كما يمشي كثير من الناس. لذلك «لا» لكفاية مهم ديني أو دنيوي، ونحوه قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس﴾(٣).

«**إن الله لا يحب كل مختال فخور**»: من الخيلاء، وهو: التبختر في المشي كبراً.. وهي: حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٧٠.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٦.

(٣) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٦.

الخلق. وهي تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء[١]. وكان محمد بن الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ يقول: ما دخل قلب رجل شيء من الكِبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك[٢]. ويدخل في ذلك تعداد الشخص ما أعطاه لظهور أنه مباهاة بالمال[٣]. أي: من يعدد مناقبه تطاولاً[٤]. ويدخل في الفخور الفخر بالأنساب[٥]. وكان أبو إسحاق الجبيناتي قل ما يترك ثلاث كلمات وفيهن الخير كله: اتبع ولا تبتدع. اتضع ولا ترتفع. من ورع لا يتسع[٦].

ويستثنى من مشي المرح أو الخيلاء، المشي في ساحة القتال والتبختر أمام الأعداء. عن جابر بن عَتيك ـ رضي الله عنه ـ أن نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول: من الغَيرةِ ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله ـ عز وجل ـ فالغيرة في الرِّيْبةِ[٧] وأما التي يُبغضها الله فالغيرة في غير الريبة. وإن من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب الله: فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل عند اللقاء[٨]. واختياله عند الصدقة[٩]، وأما التي يبغضُ اللهُ عز وجلَّ، فاختياله في البغي والفخر[١٠].

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٧.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٩.
(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٩٠.
(٤) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٣.
(٥) البحر المحيط، جـ ٧، ص ١٨٨.
(٦) تفسير الثعالبي جـ ٣، ص ٢٠٩.
(٧) في الشك وعلامات الشر.
(٨) أي: عن الحرب، ففيه إلقاء الرعب في قلوب الأعداء وفيه تشجيع لغيره.
(٩) لدلالته على السماحة، وربما كان فيه تشجيع لغيره على الصدقة.
(١٠) أي: الظلم والتفاخر على المساكين. وروى الحديث أبو داود. انظر التاج =

«**واقصد في مشيك**»: القصد: التوسط بين العلو والتقصير[١]. أي: امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً، بين بين[٢]. (وجاء في عدة روايات - إلا أن في أكثرها مقالاً يخرجها عن صلاحية الاحتجاج بها كما لا يخفى على من راجع شرح الجامع الصغير للمناوي - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن». أي هيبته: وجماله، أي تورثه حقارة في أعين الناس، وكأن ذلك لأنها تدل على الخفة، وهذا أقرب من قول المناوي: لأنها تتعب فتغير البدن والهيئة[٣]. وقال ابن مسعود: كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب **النصارى**، ولكن مشياً بين ذلك. وما في (النهاية) من أن عائشة نظرت إلى رجل كاد يموت تخافتاً[٤] فقالت: ما لهذا؟ فقيل: إنه من القراء. فقالت: كان عمر - رضي الله تعالى عنه - سيد القراء وكان إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع. فالمراد بالإسراع فيه ما فوق دبيب المتماوت[٥]. وكذا ما ورد في صفته

= الجامع للأصول جـ ٤ ص ٣٧١.

(١) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٣.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٦.

(٣) روح المعاني جـ ٢١ ص ٩٠.

(٤) وهو الذي يخفي صوته ويقل حركاته مما يتزيا بزي العبّاد كأنه يتكلف في اتصافه بما يقربه من صفات الأموات ليوهم أنه ضعف من كثرة العبادة، فلا ينافي الآية انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٩١.

(٥) انظر روح المعاني جـ ٢١ ص ٩١. وفي هامشه: ورأى عمر رضي الله تعالى عنه - رجلاً متماوتاً فقال: لا تمت علينا ديننا أماتك الله تعالى. ورأى رجلاً مطأطئاً رأسه فقال: ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمريض.

صلى الله عليه وسلم، إذ يمشي كأنما ينحط من صبب، وكذا لا ينافيها قوله تعالى: ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ إذ ليس الهون فيه المشي كدبيب النمل[١].

«**واغضض من صوتك**» أي: لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه[٢]. وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت وتمدح به في الجاهلية، ومنه قول الشاعر:

جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء[٣] جهير النَعم[٤]
ويخطو على العم خطو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم[٥]

والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق[٦].

«**إن أنكر الأصوات**»: أي: أقبحها.. أو أصعبها على السمع وأوحشها. والمراد بالأصوات، أصوات الحيوانات، **أي**: أن أنكر أصوات الحيوانات[٧]. قال العلامة الآلوسي: والظاهر أن قوله تعالى: ﴿ إن أنكر الأصوات... ﴾ من كلام لقمان لابنه،

---

(١) روح المعاني جـ ٢١ ص ٩١.
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٤٦.
(٣) المنظر الحسن.
(٤) الإبل.
(٥) عمم: تام. انظر البيتين في تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٧٢ والبحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٩ وروح المعاني جـ ٢١ ص ٩١.
(٦) في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٤٨٧.
(٧) روح المعاني جـ ٢١ ص ٩١.

تنفيراً له عن رفع الصوت. وقيل: هو من كلام الله تعالى، وانتهت وصية لقمان بقوله: «واغضض من صوتك»[١]

وذكر الإمام الرازي وجوهاً من معاني (أنكر) التي هي على وزن (أفعل) منها ما هو من باب (أشغل) مأخوذاً من نكر الشيء فهو منكر.. وعلى هذا فله معنى لطيف.. وهو أن كل حيوان قد يفهم من صوته بأنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو غير ذلك، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح، ولو قتل لا يصيح. وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق، فصوته منكور[٢]...

«**لصوت الحمير**»: قال النسفي: لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار[٣].

رد سبحانه على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ورفعه مع أن ذلك يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة، وربما يخرق الغشاء الذي هو داخل الأذن، وبيّن عز وجل أن مثلهم في رفع أصواتهم مثل الحمير، وأن مثل أصواتهم التي يرفعونها مثل نهاقها في الشدة مع القبح الموحش[٤].

قال الإمام النسفي: وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير

---

(١) روح المعاني جـ ٢١ ص ٩٢.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٥١.

(٣) تفسير النسفي جـ ٤ ص١٣٤.

(٤) روح المعاني جـ ٢١ ص ٩٢. قال بعضهم: سمي الحمار حماراً لشدته، من قولهم: طعنة حمراء: أي: شديدة، وحمارة القيظ شدته. روح المعاني جـ ٣ ص ٥٧.

وتمثيل أصواتهم بالنهيق تنبيه على أن رفع الصوت في غاية الكراهة، يؤيده ما روي أنه -عليه السلام- كان يعجبه أن يكون الرجل خفيض الصوت، ويكره أن يكون مجهور الصوت[1]. و «الحمير» مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه، ومن استفحاشهم لذكره مجرداً، وتفاديهم من اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة، وقد عُدَّ في مساوىء الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت منه الرجلة[2]. فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حميراً وصوتهم نهاقاً، مبالغة شديدة في الذم والتهجين، وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان[3].

يقول الإمام الزمخشري: فإن قلت: لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع. وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس توجب توحيده[4]. وعن أبي هريرة قال: قال

(١) تفسير النسفي جـ ٤ ص ١٣٤.

(٢) أي: المشي راجلاً. وكان عليه الصلاة والسلام يركبه تواضعاً وتذللاً لله تبارك وتعالى. انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٧٢.

(٣) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٦.

(٤) الكشاف جـ ٢ ص ١٩٦.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً. وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً[1]». وفي لفظ النسائي: «إذا سمعتم الديكة تصيح بالليل». وعن جابر قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم،فإنها ترى ما لا ترون. وأقلوا الخروج إذا جدت،فإن الله يبث في ليلة من خلقه ما يشاء»[2].

وعن الثوري في الآية قال: صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار»[3]:

أما رفع الصوت بالأذان، وعند الدعاء إلى الفئة للقتال، وعند الإهلاك ونحو ذلك، فذلك مشروع[4].

وليس معنى ذلك أن يتكلف المرء الأذان، ففي تفسير القرطبي أن عمر قال لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرَيْطاؤك. والمؤذن هو:أبو محذورة سمرة بن مِعيَر. والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة[5].

* * *

(١) رواه الجماعة إلا ابن ماجه. انظر تفسير الثعالبي جـ ٣ ص ٢١٠.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم في المستدرك واللفظ له وقال: صحيح على شرط مسلم. انظر تفسير الثعالبي جـ ٣ ص ٢١٠.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان جـ ٧ ص ٢٨٧.

(٤) البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٢٦.

(٥) تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٧١.

هكذا يؤدب الله عباده، ويضمن كتابه ما فيه سعادتهم حتى لم يترك أدبهم في المشي والحديث. ولو كانت الحكمة التي أوتيها لقمان، والتي قصها الله في القرآن هي التي لها السيادة على الناس لكان حال العالم اليوم أرقى وأرفع وأشرف وأكمل وأهنأ وأسعد مما هو عليه الآن[1].

(١) انظر تفسير المراغي. وعن الزهري قال: أكثروا من سورة لقمان فإن فيها أعاجيب. فتح البيان جـ ٧ ص ٣٠٠.

ثبت المراجع

١ ـ إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي.
٢ ـ أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، محمد ابن السيد درويش.
٣ ـ إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، القسطلاني.
٤ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي.
٥ ـ الانتصاف ـ شرح الكشاف، أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري.
٦ ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ابن عجيبة الحسني.
٧ ـ البحر المحيط، أبي حيان التوحيدي.
٨ ـ البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي.
٩ ـ البستان، سعدي الشيرازي.
١٠ ـ البيان والتبيين، الجاحظ.
١١ ـ التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (ص). منصور علي ناصف.
١٢ ـ التاج في أخلاق الملوك، الجاحظ.
١٣ ـ تاريخ العرب، حتي ـ جرجي ـ جبور.
١٤ ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي.
١٥ ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي.

١٦ ـ تفسير المراغي، محمد مصطفى المراغي.
١٧ ـ جامع أحكام القرآن، القرطبي.
١٨ ـ جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي.
١٩ ـ جواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي.
٢٠ ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري.
٢١ ـ حجة الله البالغة، عبد الرحيم الدهلوي.
٢٢ ـ الحيوان، الجاحظ.
٢٣ ـ دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي.
٢٤ ـ الرسالة القشيرية، أبي القاسم القشيري.
٢٥ ـ روح البيان في تفسير القرآن، اسماعيل حقي.
٢٦ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي البغدادي.
٢٧ ـ السيرة النبوية، ابن هشام.
٢٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، النووي.
٢٩ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد.
٣٠ ـ الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني.
٣١ ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي.
٣٢ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.
٣٣ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان.
٣٤ ـ فقه السيرة، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٥ ـ في ظلال القرآن، سيد قطب.
٣٦ ـ كتاب الزهد، أحمد بن حنبل.
٣٧ ـ الكشاف، الزمخشري.
٣٨ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، اسماعيل بن محمد العجلوني.
٣٩ ـ كليلة ودمنة، ترجمة عبد الله بن المقفع.

٤٠ ـ محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي.
٤١ ـ مجمع الأمثال، أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني.
٤٢ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات النسفي.
٤٣ ـ المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الأبشيهي المحلي.
٤٤ ـ المعارف، ابن قتيبة.
٤٥ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي.
٤٦ ـ المعجم الوسيط.
٤٧ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي.
٤٨ ـ منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين، أويس وفا الأرزنجاني.
٤٩ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن أثير الجزري.
٥٠ ـ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ.

الفهرس

سلسلة

أعلام قرآنية

طبع من هذه السلسلة:

١ - الخضر - عليه السلام -، بين الواقع والتهويل.

٢ - لقمان الحكيم وحكمه.

٣ - وقريباً: التحقيق في أمر (ذي القرنين) مثال الحاكم الصالح.